


إدارة المناهج والكتب المدرسية

# قضايا أدبيّة

## الصّفّ الثّاني عشر

### للفرع الأدبيّ

قضايا أدبية

الصف الثاني عشر

للفرع الأدبي












# قضايا أدبيّة

## الصّفُّ الثّاني عشر

## للفرع الأدبيّ

النّاشر
وزارة التّربية والتّعليم
إدارة المناهج والكتب المدرسيّة

يسر إدارة المناهج والكتب المدرسيّة استقبال ملحوظاتكم وآرائكم على هذا الكتاب عن طريق العناوين الآتية:
هاتف: ٨ - ٥ / ٤٦١٧٣٠٤ فاكس: ٤٦٣٧٥٦٩ ص. ب: ( ١٩٣٠ ) الرمز البريديّ: ١١١١٨
أو على البريد الإلكترونيّ: ALanguage.Division@moe.gov.jo

قرّرت وزارة التّربية والتّعليم تدريس هذا الكتاب في مدارس المملكة الأردنيّة الهاشميّة جميعها، بناءً على قرار مجلس التّربية والتّعليم رقم (٢٠١٧/١٢) تاريخ ٢٠١٧/١/١٧م ؛ بدءًا من العام الدّراسيّ ٢٠١٨/٢٠١٧م.

**الحقوق جميعها محفوظة لوزارة التّربية والتّعليم**

**ص . ب (١٩٣٠) عمّان – الأردنّ**

**رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة**

(٢٠١٧/٣/١٥٧٧)

ISBN: 978 - 9957 - 84 - 779 - 1

**مستشار فرق التّأليف:** أ. د. خالد عبد العزيز الكركي

**أشرف على تأليف هذا الكتاب كل من:**

أ.د. فايز عارف القرعان د.ياسين يوسف عايش أ.د.نايف خالد العجلوني
د.عبد الكريم أحمد الحياري أ.د.محمد أحمد المجالي أ.د.حسن خميس الملخ
د.أسامة كامل جرادات محمد صالح شنيور **(مقررًا)**

**وقام بتأليفه كلّ من:**

د.عايد عيد أبو سرحان هاني لطفي العواملة
د.فاطمة حسين أبو حصوة إيناس أحمد أبو عوض

**التّحرير العلمي:** محمد صالح شنيور **التّحرير الفني :** نرمين داود العزة
**التّصميم:** زياد محمد عدنان مهيار **الإنتاج :** سليمان أحمد الخلايلة

**دقّق الطّباعة :** د. أسامة كامل جرادات **راجعها :** د. عماد زاهي نعامنة

**الطّبعة الأولى** **١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م**

**أعيدت طباعته** **٢٠١٨–٢٠١٩م**

# قائمة المحتويات

## الفصل الدراسيّ الثاني

بسم الله الرّحمن الرّحيم

## المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، يأتي هذا الكتاب « قضايا أدبية» للصف الثاني عشر استكمالاً لكتاب الصف الحادي عشر وبالمنهجية نفسها التي تقوم على تعريف القضية الأدبية، ودراسة الظروف الاجتماعية والتاريخية والسياسية التي أسهمت في تكوينها، والتمثيل عليها من النصوص الأدبية شعرًا أو نثرًا، والحديث عن موضوعاتها ومضامينها، وذكر أبرز أعلامها، ثم استنباط خصائصها الفنية.

وقد تناول المؤلفون القضايا الأدبية المتنوعة لتكون مواضع للتفكير، ومحاور للنقاش والحوار، ومداخل للبحث والتعلم الذاتي، وهذا من أبرز الأهداف التي يسعى إليها الكتاب؛ إذ وضعت نصوص للدراسة والتحليل، وأخرى للتطبيق والاستقصاء.

كما تجنب المؤلفون الحديث عن القضايا الخلافية والمسائل الفرعية التي يمكن للطالب أن يحصلها في مراحل تعليمية قادمة.

وقد حرص المؤلفون على أن تكون ترجمة الشعراء والكُتّاب موجزةً، تاركين للمعلم والطالب حرية البحث في تفاصيل حياتهم وأعمالهم بالرجوع إلى المصادر المتنوعة.

أما النصوص الشعرية والنثرية التي استشهد بها لتمثيل القضايا المعروضة في الكتاب فقد أخذت من مصادرها الأصيلة، وفسرت الكلمات الغريبة في الحاشية، وروعي عند اختيارها أن تكون ذات قيمة فنية كبيرة، وأن تتضمن قيمًا إنسانية ومُثُلًا عليا تعزز في نفوس الطلبة قيم: الايمان بالله تعالى وحب الرسول – صلى الله عليه وسلم– والتسامح، والتعايش، واحترام الآخر، وحرية التعبير، ونبذ التعصب والتطرف، وتعزيز دور المرأة، وحقوق الإنسان، واستنهاض الهمم لمقاومة الاستعمار والاحتلال، وغيرها.

أما عصور الأدب العربي التي تناولها الكتاب فهي: العصر الأندلسي؛ ويمثل الأدب في بلاد الأندلس منذ فتحها عام (٩٢ هـ) حتى سقوطها عام (٨٩٧هـ). والدولة الزنكية والأيوبية التي امتدت حتى عام (٦٤٨ هـ). والدولة المملوكية التي تمثل حقبة الحكم المملوكي، وامتدت حتى عام (٩٢٢ هـ).والعصر العثماني؛ الذي بدأ عام (١٢٩٩م)، وامتد حتى عام (١٩٢٣م). والعصر الحديث، الذي بدأ بعد انتهاء الغزو الفرنسي لمصر عام (١٨٠١م) ويمتد حتى وقتنا الحاضر.

وقد جاء هذا الكتاب منسجمًا مع الإطار العام لخطة التطوير التربوي، وفلسفة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية التي تهدف إلى إكساب الطالب معارف وحقائق وقيمًا ومعلومات ومهارات وقدرات عقلية عُليا، وتكوين اتجاهات إيجابية يمكن للطالب توظيفها في مواقف حياتية متنوعة.

وأخيرًا، فإن الأهداف المرجوة من هذا الكتاب لا يمكن تحقيقها إلا بتضافر جهود الأطراف جميعهم من: معلمين وطلبة وأولياء أمور، راجين تزويدنا بأية ملاحظة تسهم في تحسين الكتاب.

**والله ولي التوفيق**

تكون المادة المطلوبة للحفظ من هذا الكتاب على النحو الآتي:

- **الفصل الدراسيّ الأوّل**

١- يحفظ الطلبة خمسة أبيات شعريّة من كلٍّ من:

- شعر وصف الطبيعة في الأندلس
- شعر رثاء المدن والممالك في الأندلس
- شعر المرأة في الأندلس
- الشعر الاجتماعي في الأندلس
- صدى الغزو الصليبي في الشعر
- صدى الغزو المغولي في الشعر
- المدائح النبوية

٢- المطلع والبيت الأول من موشح " يا زمان الوصل" للسان الدين بن الخطيب.

- **الفصل الدراسيّ الثّاني**

١- يحفظ الطلبة خمسة أبيات شعريّة من كلٍّ من:

- الاتجاه الكلاسيكي (مدرسة الإحياء والنهضة)
- الاتجاه الرومانسي
- شعر الثورة العربية الكبرى
- شعر المقاومة

٢- يحفظ الطلبة نموذجين من النماذج الممثلة لقضية (شعر التفعيلة)، على ألّا يقل عدد الأسطر في كل نموذج عن ستة أسطر.

# الفصل الدراسيّ الأوّل



# الوحدة الأولى

# ١

# الأدب في العصر الأندلسي

## النتاجات الخاصة بالوحدة

**يتوقع من الطالب بعد دراسة الوحدة أن:**

- يتعرف أهم أغراض الشعر في العصر الأندلسي.
- يتعرف أشهر شعراء العصر الأندلسي، ويقرأ نماذج من أشعارهم.
- يتعرف مظاهر شعر الطبيعة في الأندلس.
- يتبين مظاهر شعر رثاء المدن والممالك، ويعلل سبب التوسع فيه.
- يسمي أشهر شاعرات الأندلس، ويقرأ نماذج من أشعارهنّ.
- يتعرف بناء الموشح، وأشهر الوشاحين، ويستنتج خصائصه الفنية.
- يتبين أثر التفاعل الاجتماعي في الشعر الأندلسي.
- يحلل نصوصًا من الشعر الأندلسي، ويتعرف مضامينها، ويستنتج خصائصها الفنية.
- يفسر العلاقة بين القضية الأدبية والأحداث الاجتماعية والتاريخية.
- يمتلك قيمًا واتجاهات إيجابية؛ مثل: التسامح الديني، وتقدير دور المرأة، وتقدير الشعراء.
- يتعرف فنونًا نثريةً في العصر الأندلسي: (الرسائل الأدبية التأليفية، والقصة الفلسفية) ومضامينها، وخصائصها الفنية.
- يتعرف أشهر كُتّاب العصر الأندلسي.

## مقدمة تاريخية موجزة

أطلق العرب اسم الأندلس على شبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا والبرتغال) التي تقع جنوبي غرب قارة أوروبا، ويحدّها من الغرب المحيط الأطلسي، ومن الجنوب والشرق البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال بلاد الفرنجة ( فرنسا). وقد حكمها المسلمون ثمانية قرون منذ فتحها بقيادة طارق ابن زياد وموسى بن نصير عام (٩٢هـ ) حتى سقوط غرناطة عام (٨٩٧هـ).

تفوق الأندلسيون في مختلف العلوم، وأجادوا معظم الفنون، وأبدعوا أدبًا غزيرًا، وتركوا حضارة عظيمة ما تزال آثارها شاهدة على عظمتهم، فلا نكاد نجد عِلْمًا أو فنًّا إلا وللأندلسيين يدٌ فيه.

أمّا مراحل الحكم الإسلامي في الأندلس والدول التي تعاقبت عليه فقد قسمها المؤرخون على النحو الآتي:

- عهد الفتح والولاية (٩٢هـ – ١٣٨هـ): حيث استُكمل فتح الأندلس، وحكم الأندلس في هذه الحقبة ولاة تُعيّنهم الدولة الأموية في المشرق ويتبعون لها.
- عهد الإمارة والخلافة (١٣٨هـ – ٤٢٢هـ): تبدأ هذه الحقبة بدخول عبد الرحمن بن معاوية (صقر قريش) الأندلس وتأسيسه دولة أموية مستقلة عن المشرق.
- عهد ملوك الطوائف (٤٢٢هـ – ٤٨٤هـ): قامت في هذه الحقبة عدة ممالك ودول على أنقاض الدولة الأموية.
- عهد المرابطين (٤٨٤هـ – ٥٤٠هـ): شهدت هذه الحقبة دخول يوسف بن تاشفين الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف.
- عهد الموحدين (٥٤٠هـ – ٦٣٣هـ): أصبحت الأندلس في هذه الحقبة ولاية تابعة للمغرب العربي.
- عهد بني الأحمر (٦٣٣هـ – ٨٩٧هـ): وكانت هذه الحقبة نهاية الحكم العربي الإسلامي في الأندلس.

تكوّن المجتمع الأندلسي من العرب والبربر والإسبان والصقالبة، وسادت الديانات السماوية الثلاث جنبًا إلى جنب، وتفاعلت هذه المكونات وجعلت المجتمع الأندلسي مجتمعًا متميزًا في بنائه الحضاري، ومثلًا يُحتذى في التعايش الاجتماعي والتسامح الديني.

وقد تميزت الأندلس بجمال طبيعتها، وتنوع تضاريسها، واعتدال مناخها، وغزارة مياهها، وخصوبة أرضها، وخضرتها الدائمة؛ فقد أُطلق عليها (جَنّة الله على أرضه) و(الفردوس المفقود)، وكان لهذه البيئة وطبيعة المجتمع الأندلسي أثرهما البالغ في الأدب الأندلسي.

## قضايا من الشعر في العصر الأندلسي

تطورت مضامين الشعر وأساليبه في العصر الأندلسي؛ بفعل مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والبيئية. فنتيجة لكثرة الأحداث السياسية وتنوّعها، وجمال البيئة الأندلسية وتنوع تضاريسها، عاش الناس حياة حرية وانفتاح واندماج بالثقافات والشعوب الأخرى، وتأثر الشعر الأندلسي بذلك شكلًا ومضمونًا.

ونقف في هذا العصر على عدد من الجوانب الأدبية التي تتصل بالشعر الأندلسيّ وكان للواقع البيئي والاجتماعي والسياسي دور في بروزها، وهي: شعر وصف الطبيعة، وشعر رثاء المدن والممالك، وشعر المرأة، والموشح، والشعر الاجتماعي.

### أولًا: شعر وصف الطبيعة

استأثرت الطبيعة باهتمام الشعراء الأندلسيين؛ لجمالها المتمثل في تنوع التضاريس، واعتدال المناخ، وغزارة المياه، وخصوبة الأرض، وخضرتها الدائمة. وقد صقل هذا الجمال ذوق الأندلسي وجعله رقيقًا سلسًا، فكان الإنتاج الشعري في هذا السياق غزيرًا رقيقًا.

ومن أبرز مظاهر شعر وصف الطبيعة في الأندلس ما يأتي:

١- وصف البيئة الأندلسية على نحو عام، وبيان محاسنها والتغني بجمالها، يقول ابن سَفَر المَرينيّ(١) متغنيًا بالأندلس وجمالها:

فــي أَرْضِ أَنْـدَلُسٍ تَلْـتَـذُّ نَعْـمـاءُ ... وَلا يُـفـارِقُ فـيـهـا الـقَلْـبَ سَـرّاءُ

وَكَيْــفَ لا يُبْهِجُ الأَبْصارَ رُؤْيَتُهـا ... وَكُلُّ رَوْضٍ بِها في الوَشْيِ صَنْعاءُ (٢)

أَنْهارُهـا فِضَّةٌ وَالمِسْـكُ تُرْبَتُهـا ... وَالخَزُّ رَوْضَتُها وَالدُّرُّ حَصْبـاءُ (٣)

قَدْ مُيِّزَتْ مِنْ جِهاتِ الأَرْضِ حينَ بَدَتْ ... فَريـدةً وتَوَلّـى مَيْزَها المـاءُ

لِذاكَ يَبْسُمُ فيها الزَّهْرُ مِـنْ طَـرَبٍ ... والطَّيْرُ يَشْدو وَلِلأَغْصانِ إِصْغاءُ

---

(١) أبو الحسن محمد بن سفر المريني، من شعراء الأندلس في عصر الموحدين في القرن السادس الهجري.

(٢) الوشي: نقوش الثوب، فالزهور والورود تشبه النقوش في الثوب. صنعاء: عمل متقن ومحكم.

(٣) الخزّ: الحرير. حصباء: حجارة صغيرة.

٢- وصف الحدائق والرياض والزهور كالنرجس والأقحوان والسوسن والبهار(١) والياسَمين، يقول ابن النَّظّام الأندلسي (٢) واصفًا زهر البهار:

وَقَدْ بَدَتْ لِلْبَهارِ أَلْوِيَـــةٌ    تَعْبَقُ مِسْكًا طُلوعُها عَجَـبُ
رُؤوسُها فِضَّةٌ مُوَرِّقَـــــةٌ    تُشْرِقُ نورًا عُيونُها ذَهَـــبُ
فَهْوَ أَميرُ الرِّياضِ حَفَّ بِهِ    مِنْ سائِرِ النَّوْرِ عَسْكَرٌ لَجِبُ (٣)

ويقول جَعْفَر المُصْحَفِي (٤) في وصف سوسنة:

يا رُبَّ سَوْسَنَةٍ قَـــدْ بِتُّ أَلْثُمُها    وَما لَها غَيْرُ طَعْمِ المِسْكِ مِنْ ريقِ
مُصْفَرَّةُ الوَسْطِ مُبْيَضٌّ جَوانِبُها    كَأَنَّها عاشِقٌ فـــي حِجْرِ مَعْشوقِ

٣- وصـف المائيـات كالأنهار والبحـار والسواقي والبـرك، فالأندلس شبه جزيـرة تحيط بها المياه من جهـات ثلاث، وتكثر فيها الأنهار، فأثارت خواطـر الشعراء وأبدعوا في وصفها وتصويرهـا، يقـول ابن حَمْديس الصقلّـي (٥) واصفًا بركةً تحيط بها تماثيـلُ لأُسودٍ تخرج المياه من أفواهها، في قصر اللؤلؤة الذي بناه المنصور بن أعلى الناس أمير بِجاية:

وَضَراغِمٍ سَكَنَـتْ عَرينَ رِئاسَةٍ    تَرَكَتْ خَريـرَ الماءِ فيهِ زَئيـــرا
فَكَأَنَّما غَشّى النُّضارُ جُسومَها    وَأَذابَ فـــي أَفْـواهِها البِلَّـورا (٦)
أُسُـــدٌ كَأَنَّ سُكونَها مُتَحَـــرِّكٌ    في النَّفْسِ لَوْ وَجَدَتْ هُناكَ مُثيرا
وَتَخالُها وَالشَّمْسُ تَجْلو لَوْنَها    نارًا وَأَلْسُنَها اللَّواحِسَ نُـــــورا (٧)

٤- مناجاة الطبيعة وبثّ الهموم والمشاعر إليها وجعْلها تشارك الناس أفراحهم وأتراحهم، يقول ابن خَفاجَة (٨) مخاطبًا الجبل:

---

(١) البهار: زهرة طيبة الرائحة، تنبت في فصل الربيع، ويقال لها: العَرار.
(٢) عبد الملك بن عبد الحكم بن محمد، أبو بكر، يعرف بابن النظام، أديب وشاعر.
(٣) النَّور: الزهر الأبيض. لجب: من لجب الموج فهو لجبٌ أي مضطرب، والمقصود كثرة الزهر الأبيض الذي يحيط بزهرة البهار.
(٤) أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي من مدينة بلنسية، حاجب الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله، (ت ٣٧٢هـ).
(٥) أبو محمد عبد الجبار الصقلي، ولد في صقلية ونشأ فيها، ثم رحل إلى الأندلس، (ت٥٢٧ هـ).
(٦) النضار: الذهب الخالص. البلور: حجر أبيض شفاف.
(٧) اللواحس: مفردها اللاحس، والمعنى أن المياه المندفعة من أفواه الأسود مثل الألسنة المتدلية.
(٨) إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي، من الكتّاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرياض ومناظر الطبيعة، (ت ٥٣٣هـ).

وَأَرْعَــــنَ طَمّاحِ الذُّؤابَةِ بـاذِخٍ يُطاوِلُ أَعْنانَ السَّماءِ بِغــــارِبِ (١)
يَسُدُّ مَهَبَّ الرّيحِ مِنْ كُلِّ وِجْــهَةٍ وَيَزْحُـمُ لَيْلًا شُهْبُهُ بِالْمَناكِــــبِ (٢)
وَقورٍ عَلــــى ظَهْرِ الفَلاةِ كَــأَنَّهُ طَوالَ اللّيالي مُفْكِرٌ في العَواقِبِ (٣)
أَصَخْتُ إِلَيْهِ وَهْوَ أَخْرَسُ صَامِتٌ فَحدَّثَني لَيْلُ السُّرَى بِالعَجـائِـبِ (٤)

### الخصائص الفنية لشعر وصف الطبيعة

تتلخص الخصائص الفنية لشعر وصف الطبيعة في الأندلس في أنه:

١– يستخدم التشخيص، وذلك بإبراز الطبيعة في صور شخوص حية وبث الحياة فيها، فابن سفر المريني جعل الزهر يبسم من الطرب وأغصان الأشجار تصغي إلى شدو الطير، وخاطب ابن خفاجة الجبل كأنه إنسان.

٢ – يبتعد عن الألفاظ الغريبة، وينحو إلى المعاني السهلة الواضحة المستمدة من البيئة الأندلسية التي تكثر فيها مظاهر الطبيعة الخلابة من: أنهار، وأشجار، وورود، وغيرها.

٣– يتصف بدقة التصوير وجماله، كما في وصف زهر البهار لابن النَّظّام الأندلسي ووصف نافورة الأسود لابن حَمْديس الصقلّي.

---

(١) أرعن: يقصد الجبل المرتفع. الذؤابة: الخصلة من الشعر، ويقصد أن الجبل له قمة شديدة الارتفاع. الغارب: الكاهل، والمقصود به أعلى الجبل.

(٢) المناكب: مفردها مَنكِب، وهو ناحية الشيء وجانبه.

(٣) الفلاة: الصحراء الواسعة.

(٤) أصخت: استمعت.

## الأسئلة

١- بين أسباب ازدهار شعر وصف الطبيعة في الأندلس.

٢- استنتج المظهر الذي يمثله كل بيت مما يأتي من مظاهر شعر وصف الطبيعة:

أ - البَحْرُ أَعْظَمُ مِمّا أَنْتَ تَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَرَ البَحْرَ يَوْمًا ما رَأى عَجَبا

ب - يا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ للهِ دَرُّكُمُ ماءٌ وَظِلٌّ وَأَشْجارٌ وَأَنْهارُ

جـ - عَلى نَرْجِسٍ مِثْلَ الدَّنانيرِ بُدِّدَتْ عَلى بُسطِ خَزٍّ وَالبَهارُ دَراهِمُ

٣- اقرأ النص الآتي، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

يقول ابن الأَبّار القُضاعِيّ [١] في وصْف نهر:

وَنَهْرٍ كَما ذابَتْ سَبائِكُ فِضَّةٍ حَكى بِمَحانيهِ انعِطافَ الأَراقِمِ[٢]
إِذا الشَّفَقُ اسْتَوْلى عَلَيْهِ احْمِرارُهُ تَبَدّى خَضيبًا مِثْلَ دامي الصَّوارِمِ[٣]
وَتُطْلِعُهُ في دُكْنَةٍ بَعْدَ زُرْقَةٍ ظِلالٌ لِأَدْواحٍ عَلَيْهِ نَواعِمِ[٤]

أ - ما المظهر الذي تمثله الأبيات السابقة من مظاهر شعر وصف الطبيعة؟

ب- مثّل من الأبيات السابقة على الخصيصتين الفنيتين الآتيتين:

١. التشخيص والتشبيه.

٢. المعاني المستمدّة من البيئة الأندلسية.

جـ- وظّف الشاعر عنصر اللون في دقة التصوير وجماله، وضح ذلك.

## النشاط

- يقول شوقي ضيف: «إن شعراء الأندلس استبدلوا شعر وصف الطبيعة بالمقدمات الطللية الغزلية»، ناقش هذا القول مع معلمك وزملائك.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبّار، له مؤلفات كثيرة، (ت٦٥٨هـ).

(٢) الأراقم: الأفاعي وذكور الحيات.

(٣) خضيبًا: ملوّنًا. الصوارم: السيوف.

(٤) أدواح: الشجر العظيم.

## ثانيًا: شعر رثاء المدن والممالك

اشتهر شعر رثاء المدن والممالك بعد حالة الضعف والانقسام والتفكك التي شهدها الحكم الإسلامي إبان عصر ملوك الطوائف، والتقلبات السياسية التي سادت ذلك العصر، واشتداد المواجهة بين المسلمين وأعدائهم، وما تبع ذلك من سقوط الحواضر الإسلامية مدينة تلو الأخرى، ثم سقوط الممالك والإمارات الأندلسية، وانتهاءً بسقوط الأندلس كاملة.

وقد واكب الشعر الأندلسي هذه الأحوال، فجادت قرائح الشعراء بقصائدَ طوالٍ تُنبئ عن حسرة وألم شديدين على مدن ذاهبة، وممالك زائلة؛ حتى غدا رثاء المدن والممالك غرضًا شعريًّا قائمًا بذاته.

ومن مظاهر شعر رثاء المدن والممالك:

١ – تصوير ما حلّ بالمدن من خراب ودمار، وما نزل بأهلها من كرب وضيق، يقول ابن خفاجة في رثاء مدينته الجميلة (بَلَنْسِية) التي سقطت عام (٤٨٨هـ):

عاثَتْ بِساحَتِكِ العِدا يــــا دارُ ... وَمَحا مَحاسِنَكِ البِلـــى وَالنّـارُ
وَإِذا تَرَدَّدَ فـــــي جَنابِكِ ناظِرٌ ... طالَ اعْتِبــــارٌ فيكِ وَاسْتِعْبارُ
أَرْضٌ تَقاذَفَتِ الخُطــوبُ بِأَهْلِها ... وَتَمَخَّضَتْ بِخَرابِها الأَقْـــدارُ(١)
كَتَبَتْ يَدُ الحَدَثانِ في عَرَصــاتِها ... «لا أَنْتِ أَنْتِ وَلا الـدِّيارُ دِيارُ»(٢)

٢ – الموازنة بين ماضي المدن وحاضرها، يقول ابن اللَّبّانَة (٣) في رثاء دولة بني عَبّاد في (إِشْبيلْيَة) مقارنًا بين حال المدينة أيام حكم المُعْتَمِد بن عَبّاد (٤) وبعد سقوطها:

تَبْكـي السَّماءُ بِمُزْنٍ رائِـحٍ غـــادِ ... عَلــى البَهاليلِ مِــنْ أَبْناءِ عَبّـــادِ (٥)
عَلى الجِبالِ الَّتي هُدَّتْ قَواعِــــدُها ... وَكانَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذاتَ أَوْتــادِ

---

(١) الخطوب: المكاره. تمخضت: أتت بها.

(٢) الحدثان: النوائب والحوادث. عرَصاتها: ساحاتها. اقتبس الشاعر عجز البيت من قصيدة لأبي تمام الطائي.

(٣) أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي المعروف بابن اللبانة، أشهر شعراء عصره، كان مقرَّبًا من ملوك الطوائف، وكان يكثر من مدحهم لا سيما المعتمد بن عباد، (ت٥٠٧هـ).

(٤) ثالث ملوك بني عبّاد في الأندلس، (ت٤٨٨هـ).

(٥) المزن: السحاب يحمل الماء. البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الشريف الجامع لصفات الخير.

وَكَعْبَـةٌ كانَـتِ الآمـالُ تَعْمُرُهـــا فَاليَـــوْمَ لا عاكِفٌ فيها وَلا بـــــادِ

يا ضَيْفُ أَقْفَرَ بَيْتُ المَكْرُماتِ فَخُذْ في ضَـمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَعْ فضْلَةَ الزّادِ

٣ – ذكْر أسباب الهزيمة من ضعف المسلمين وانقسامهم، وابتعادهم عن تعاليم الدين الحنيف،

يقول ابن الجدّ (١) في وصف ما آلت إليه حال ملوك الطوائف بسبب سوء تدبيرهم:

أرى الـمُلـــوكَ أَصابَتْـهُمْ بِأَنْدَلُسٍ دَوائِرُ السّــوءِ لا تُبْقي وَلا تَـذَرُ

ناموا وَأَسْرى لَهُمْ تَحْتَ الدُّجى قَدَرٌ هَوى بِأَنْجُمِهِمْ خَسْفًا فَما شَعَروا

٤ – الاستنجاد بالمسلمين واستنهاض هممهم ودعوتهم إلى نصرة إخوانهم:

يقول ابن الأَبّار القُضاعِيّ بعد سقوط مدينة (بَلَنْسِيَة)، وقد أرسل إلى أبي زكريا بن حفص سلطان تونس مستنجدًا لنصرة الأندلس:

أَدْرِكْ بِخَيْـلِـكَ خَـيْـلِ اللهِ أَنْـدَلُسا إِنَّ السَّبيلَ إِلـى مَنْجاتِـها دَرَســـا

وهَبْ لَها مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ ما الْتَمَسَتْ فَلَمْ يَـزَلْ مِـنْـكَ عِـزُّ النَّصْـرِ مُلْتَمَسا

وتعدّ نونية أبي البَقاء الرّنْدي(٢) أشهر ما قيل في رثاء المدن والممالك في الأندلس؛ فهي لا ترثي مدينة بعينها كالنماذج السابقة بل ترثي الأندلس في مجموعها مدنًا وممالك، وتعبر عن تجربة حقيقية عاشها الشاعر، وبدأها بحكمة عامة، ثم صوّر ما حلّ بالأندلس من خطوب جليلة لا عزاء فيها ولا تأسّيَ دونها، يقول في نونيّته:

لِكُلِّ شَـيْءٍ إِذا مــا تَـمَّ نُقْصانُ فَـلا يُغَرَّ بِـطيبِ الـعَـيْشِ إِنْســـانُ

هِيَ الأُمورُ كَما شاهَدْتَها دُوَلٌ مَـنْ سَـرَّهُ زَمَـنٌ ســاءَتْـهُ أَزْمـــانُ

وَهذِهِ الدّارُ لا تُـبْقي عَلى أَحَدٍ وَلا يَـدومُ عـلى حـالٍ لَـها شـــانُ

فَـجائِعُ الـدَّهْرِ أَنْـواعٌ مُـنَوَّعَـةٌ وَلِـلـزَّمـــانِ مَـسَرّاتٌ وَأَحْـــزانُ

وَلِلْحَوادِثِ سُـلْـوانٌ يُـسَهِّلُـها وَمــا لِـما حَـلَّ بِالإِسْلامِ سُلْـــوانُ

تِلْكَ المُصيبَةُ أَنْسَتْ ما تَقَدَّمَها وَمـا لَـها مَــعَ طولِ الـدَّهْـرِ نِسْـيانُ

يـا مَـنْ لِـذِلَّةِ قَــوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِـمُ أَحــالَ حــالَهُــمُ جَــوْرٌ وَطُغْـيــانُ

---

(١) أبو الحسن يوسف بن محمد بن الجدّ الفهري، من شعراء عصر الطوائف في الأندلس، (ت٥٣٢هـ).

(٢) أبو البقاء صالح بن يزيد الرندي الأندلسي، من أبناء رُندة في مقاطعة مالقة بالأندلس، (٦٨٤هـ).

## الخصائص الفنية لشعر رثاء المدن والممالك

من النماذج السابقة نتبين أن شعر رثاء المدن والممالك:

١- يتصف بحرارة العاطفة وعمق الشعور بالأسى والحزن عند الحديث عما حل بالمدن والموازنة بين ماضيها وحاضرها.

٢- تغلب عليه النزعة الدينية والحكمة النابعة من التجارب المريرة، ويتجلى ذلك في أبيات أبي البقاء الرندي حين يتحدث بحكمة عن تداول الأيام وتبدل الحال وتقلب الزمان.

٣- يكثر من استخدام أساليب الإنشاء الطلبي، مثل: النداء، والاستفهام للتحسر والتفجع.

## الأسئلة

١ – وضّح أبرز مظاهر شعر رثاء المدن والممالك.

٢ – علل ما يأتي:

أ – توسّع شعراء الأندلس في رثاء المدن والممالك حتى أصبح عندهم غرضًا شعريًّا قائمًا بذاته.

ب– يتصف شعر رثاء المدن والممالك بحرارة العاطفة.

٣– وازن بين حال مدينة (إشبيلية) أيام حكم المعتمد بن عبّاد وبعد سقوطها، كما بينها الشاعر ابن اللّبّانة.

٤– يقول ابن عبدون (١) في رثاء دولة بني المُظَفَّر في (بَطَلْيُوس):

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ العَيْنِ بِالأَثَـــرِ ... فَما البُكاءُ عَلى الأَشْباحِ وَالصُّــوَرِ
فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبْدى مُسالَمَةً ... وَالسُّودُ وَالبِيضُ مِثْلُ البِيضِ وَالسُّمُرِ
بَني المُظَفَّرِ وَالأَيّامُ ما بَرِحَـــتْ ... مَراحِلًا وَالوَرى مِنْها عَلى سَفَـــرِ
أَيْنَ الإِبـاءُ الّذي أَرْسَوا قَواعِدَهُ ... عَلى دَعـائِـمَ مِـنْ عِـزٍّ وَمِـنْ ظَـفَـرِ؟
أَيْنَ الوَفاءُ الّذي أَصْفَـوا شَـرائِعَهُ ... فَلَمْ يَـرِدْ أَحَـدٌ مِـنْـهُـمْ عَـلـى كَـدَرِ؟
كانـوا رَواسِيَ أَرْضِ اللهِ مُذْ نَـأَوا ... عَنْها اسْتَطارَتْ بِمَنْ فيها وَلَمْ تَقـــرِ

بعد إنعام النظر في النص السابق أجب عما يأتي:

أ – استنتج المظهر الذي يمثله النص.

ب– مثل من النص على ما يأتي:

١. توظيف الحكمة

٢. حرارة العاطفة وعمق الشعور بالأسى والحزن

٥– اشتهرت قصيدة أبي البَقاء الرّنْدي في رثاء المدن والممالك أكثر من غيرها، بين سبب ذلك.

(١) ذو الوزارتين: أبو محمد، عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري، كان كاتبًا مترسلًا وعالـمًا بالتاريخ والحديث، (ت ٥٢٩هـ).

## ثالثًا: شعر المرأة

حظيت المرأة الأندلسية بمكانة كبيرة، وشاركت في الحياة العامة، وتولّت مناصب مختلفة، فكانت كاتبة، وعالمة، وشاعرة، إذ كانت نُضار بنت أبي حَيّان الغرناطيّ (١) عالمة في اللغة والنحو والتفسير ولها مجلس علم، وكانت ولّادة بنت المستكفي(٢) تجمع الأدباء في مجلسها لدراسة الشعر ونقده. كما نالت المرأة الأندلسية قسطًا كبيرًا من الحرية، وكان لكثير من النساء نفوذ سياسي مثل: مريم أم إسماعيل (٣)، وأسماء بنت غالب (٤).

ومن الشاعرات الأندلسيّات المُجيدات أيضًا: حمدة بنت زياد المؤدِّب (٥)، وحُسّانة التّميميّة (٦)، وأم الهَناء بنت القاضي (٧)، وحَفصة الرَّكونية (٨)، وتَميمة بنت يوسف (٩).

ومن الأغراض الشعرية التي نظمت فيها المرأة:

### ١ – المدح

للتعبير عن مشاعر الودّ والإخلاص، أو من أجل تحقيق رغبة ذاتية مثل رفع ظلامة أو طلب نجدة، ومن ذلك قول حُسّانة التَّميميّة في مدح الحكم بن الناصر بعد أن حقق طلبها ورفع ظلامتها:

ابْنَ الهِشامَيْنِ خَيْرَ النّاسِ مَأْثَرَةً ... وَخَيْرَ مُنْتَجَعٍ يَوْمًا لِرُوّادِ(١٠)
إنْ هَزَّ يَوْمَ الوَغى أَثْناءَ صَعْدَتِهِ ... روى أَنابيبَها مِنْ صِرْفِ فِرْصادِ(١١)
قُلْ لِلإِمامِ أَيا خَيْرَ الوَرى نَسَبًا ... مُقابَلًا بَيْنَ آباءٍ وَأَجْدادِ

---

(١) عاشت في غرناطة، (ت ٧٣٠هـ).
(٢) أميرة أندلسية، ابنة الخليفة المستكفي بالله، اشتهرت بالفصاحة والشعر، (ت ٤٨٤هـ).
(٣) مريم بنت محمد زوجة سلطان غرناطة يوسف بن نصر، أسهمت في تثبيت حكم ابنها إسماعيل، ( ت ٧٧٢هـ).
(٤) زوجة المنصور بن أبي عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد بالله، (ت ٣٨٤هـ).
(٥) هي حمدة بنت زياد بن تقي، بنت المؤدب، من شاعرات غرناطة في عصر ملوك الطوائف، لقبت بخنساء المغرب لأنها قالت شعرًا في الرثاء وكانت مُجيدة فيه، (ت ٦٠٠هـ).
(٦) حسانة بنت عاصم التميمي، من أقدم شاعرات الأندلس، (ت ٢٣٨هـ).
(٧) أم الهناء بنت أبي محمد بن غالب بن عطية المحاربي، ابنة المفسر المشهور ابن عطية، (ت ٥٦٨هـ).
(٨) حفصة بنت الحاج الرَّكوني، شاعرة وأديبة، نسبت إلى بلدة ركونة (أوركانة) التي تقع غربي بلنسية، (ت٥٨٦هـ).
(٩) تميمة بنت يوسف بن تاشفين، (ت ٥٠٧هـ).
(١٠) مأثرة: مكرمة متوارَثة. المنتجَع: المكان يطلب فيه الكلأ، والمقصود أن في القصد إلى الأمير خيرًا.
(١١) الصعدة: القصبة أو القناة المستوية. فرصاد: صبغ أحمر والمقصود الدم، والشاعرة هنا تمدح الأمير بأنه شجاع في ساح الوغى.

جَوَّدْتَ طَبْعي وَلَمْ تَرْضَ الظُّلامَةَ لي فَهاكَ فَضْلَ ثَناءٍ رائِحٍ غادِ
فإِنْ أَقَمْتُ فَفي نُعْماكَ عاطِفَةً وَإِنْ رَحَلْتُ فَقَدْ زَوَّدْتَني زادي

## ٢- الوصف

وصفت حمدة بنت زياد المؤدِّب (وادي آش)(١) وصفًا بارعًا دقيقًا حين جلست تتفيأ ظلاله وتبدو الحصى فيه كأنه– لصفائه– جواهر، فتظن الحسان الناظرات فيه كأن عقودهن انفرطت فيه فيسرعن إلى تلمس عقودهن، تقول:

وَقانا لَفْحَةَ الرَّمْضاءِ وادٍ سَقاهُ مُضاعَفُ الغَيْثِ العَميم (٢)
حَلَلْنا دَوْحَهُ فَحَنا عَلَيْنا حُنُوَّ المُرْضِعاتِ عَلى الْفَطيم
وَأَرْشَفَنا عَلى ظَمَأٍ زُلالاً يَرُدُّ الرّوحَ لِلْقَلْبِ السَّقيم
يَصُدُّ الشَّمْسَ أَنّى واجَهَتْنا فَيَحْجُبُها وَيَأْذَنُ لِلنَّسيم
يَروعُ حَصاهُ حالِيَةَ العَذارى فَتَلْمَسُ جانِبَ الْعِقْدِ النَّظيم (٣)

## ٣- الفخر

افتخرت المرأة الأندلسية – لا سيّما من كانت مقرَّبة من الملوك والأمراء والوزراء – بحسبها ونسبها وجمالها وعفّتها ومهاراتها، فالفخر متنفس لها لتعبر عن كبريائها والمباهاة بنفسها. قالت تَميمة بنت يوسف مفتخرة بنفسها وأنه يصعب الوصول إليها أو أن تنزل هي من مكانها السامي:

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُها في السَّماءِ فَعَزِّ الفُؤادَ عَزاءً جَميلا
وَلَنْ تَسْتَطيعَ إِلَيْهِ الصُّعودَ وَلَنْ تَسْتَطيعَ إِلَيْكَ النُّزولا

ومن ذلك افتخار حَفصة الرّكونية بخطّها حين سألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيئًا بخطّها فكتبت إليها:

يا رَبَّةَ الحُسْنِ بَلْ يا رَبَّةَ الكَرَم غُضّي جُفونَكِ عَمّا خَطَّهُ قَلَمي
تَصَفَّحيهِ بِلَحْظِ الوُدِّ مُنْعِمَةً لا تَحْفُلي بِرَديءِ الخَطِّ وَالكَلِم

---

(١) واد في بلدة قرب غرناطة.
(٢) الرمضاء: شدة الحر.
(٣) حالية: المرأة التي تلبس الحلي.

## الخصائص الفنية لشعر المرأة

من النماذج السابقة يظهر أن شعر المرأة الأندلسية:

١- جاء في معظمه قصائد قصيرة ومقطوعات تتصف بوحدة الموضوع.

٢- يتصف التصوير فيه ببساطته وجماله، وخلوه من التكلف، فصوره تخضع لعاطفة المرأة المتدفقة، ويظهر ذلك في قول حمدة بنت زياد المؤدِّب حين وصفت (وادي آش) وشبهت ظلال الأشجار في الوادي بحنوّ الأم المرضع على طفلها الفطيم، وكما في أبيات تميمة بنت يوسف التي شبهت فيها نفسها بالشمس.

## الأسئلة

١- وضح من خلال ما درست مكانة المرأة في الأندلس.

٢- استنتج الغرض الشعري الذي يمثله كلٌّ مما يأتي:

أ - قالت ولّادة بنت المستكفي:

أَنا وَاللهِ أَصْلُحُ لِلمَعالي وَأَمْشي مِشْيَتي وَأَتيهُ تيها

ب- قالت حُسّانة التميمية:

إِنّي إِلَيْكَ أَبا العاصي مُوَجَّعَــةٌ أَبا الحُسَيْنِ سَقَتْهُ الواكِفُ الدِّيَمُ
أَنْتَ الإِمامُ الَّذي انْقادَ الأَنامُ لَهُ وَمَلَّكَتْهُ مَقاليدُ النُّهى الأُمَـــمُ

٣- اقرأ النص الآتي، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

حين علمت ولّادة بنت المستكفي أن ابن زيدون مال إلى امرأة غيرها كتبت إليه:

لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ في الهَوى ما بَيْنَنا لَمْ تَهْوَ جارِيَتي وَلَـمْ تَتَخَيَّــرِ
وَتَرَكْــتَ غُصْنًا مُثْمِرًا بِجمالِـهِ وَجَنَحْتَ لِلغُصْنِ الَّذي لَـمْ يُثْمِـرِ
وَلَقَــدْ عَلِمْتَ بِأَنَّني بَـدْرُ السَّمـا لكِنْ دُهيتَ لِشِقْوَتي بِالمُشْتَـري

أ - ما الغرض الشعري الذي تمثله الأبيات السابقة؟

ب- مثّل من الأبيات السابقة على جمال التصوير.

## رابعًا: الموشّح

### ١– مفهوم الموشح

الموشح لغة: من الوشاح، وهو حزام مرصَّع باللؤلؤ والجوهر المنظوم تتزين به المرأة(١).

أما اصطلاحًا: فكلام منظوم على قوالب محددة وأوزان مختلفة.

وترجع تسميته بذلك إلى ما فيه من زخرفة وترصيع وتزيين وتناظر وصنعة، فكأنه شُبِّه بوشاح المرأة المرصع باللؤلؤ والجوهر.

### ٢– نشأة الموشح وعوامل ظهوره

يرى بعض الدارسين أن ظهور الموشح كان نتيجة مجموعة من العوامل يعود بعضها إلى جذور مشرقية تجلّت في محاولات بعض شعراء العصر العباسي، مثل: بشّار بن بُرْد، ومُسْلِم ابن الوليد، وأبي نُواس، وأبي العلاء المَعَرّيّ، الخروج على بنية القصيدة العربية والثورة على القديم. ويمكن القول: إن الموشحات التي وصلت إلينا أندلسية المنشأ، وذات صلة بالحياة الاجتماعية والبيئة الأندلسية.

ومن عوامل ظهور الموشحات:

أ – التجديد الموسيقي الذي أدخله زِرْياب (٢) وتلاميذه في الألحان والغناء، وما اشتمل عليه هذا التجديد من تنويع في الإيقاع والنغم، وقد اقتضى التجديد في الموسيقا والتنويع في الغناء التجديد في بنية القصيدة؛ ما ساعد على ظهور الموشح.

ب– ميل الأندلسيين إلى الإبداع والابتكار والخروج على الأوزان التقليدية.

جـ– طبيعة الحياة التي عاشها الأندلسيون، وشيوع أجواء الحرية والانفتاح، وانتشار مجالس السَّمَر في بيئة جميلة.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة «وشح».

(٢) أبو الحسن علي بن نافع، موسيقي ومطرب، أخذ الغناء عن إسحاق الموصلي، وأضاف الوتر الخامس للعود، (ت٢٤٣هـ).

### ٣- أشهر الوشاحين الأندلسيين

يعدّ مُقَدَّم بن مُعافى القَبْرِي رائد الموشح، وأول من نَظَمه، ثم لمعت أسماء مهمة من وَشّاحي الأندلس، مثل: عُبادة بن ماء السّماء، وابن بَقِيّ، والأعمى التّطيليّ، ولسان الدّين بن الخطيب، وابن باجَة، وابن سَهل الإشبيلي، وابن زُهْر الإشبيلي.

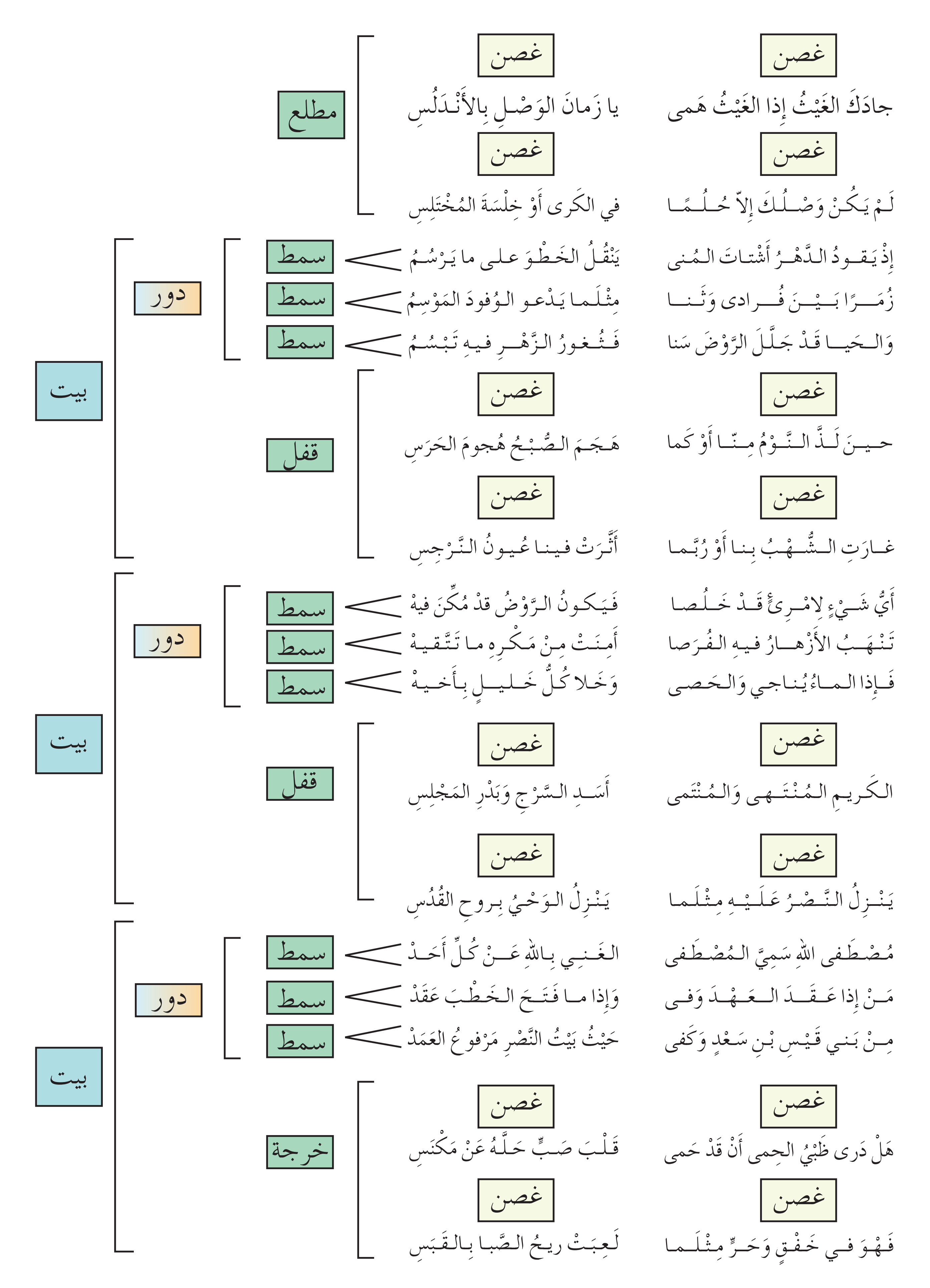
### ٤- بناء الموشح

اتخذ الموشح بنية تتكون من أجزاء معينة تتردد في الموشح بانتظام، ولكل جزء من هذه البنية اسمه الذي اصطلح عليه الدارسون، ويتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له: التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له: الأقرع، فالتام ما ابْتُدِئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابْتُدِئ فيه بالأبيات (١).

ولكي تتضح بنية الموشح، نسوق مثالًا تطبيقيًّا من موشح «يا زمان الوصل» للسان الدين ابن الخطيب، موضَّحًا عليه أجزاء الموشح، وقد قاله يمدح أمير غرناطة أبا عبد الله محمد الغني بالله، معارضًا ابن سَهل الإشبيلي في موشحه «هل درى ظبي الحمى»، وقد جمع ابن الخطيب في موشحه بين مدحٍ وغزلٍ ووصفٍ، كما تحدث عن الهوى والشكوى ومجالس الأُنس.

---

(١) في صفحة لاحقة من هذا الكتاب سيتم التطرق بالتفصيل إلى شرح هذه المسميات.



مطلع
غصن
جادَكَ الغَيْثُ إِذا الغَيْثُ هَمى
غصن
يا زَمانَ الوَصْلِ بِالأَنْدَلُسِ
غصن
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلاّ حُلُمًا
غصن
في الكَرى أَوْ خِلْسَةَ المُخْتَلِسِ
بيت
دور
سمط
إِذْ يَقودُ الدَّهْرُ أَشْتاتَ المُنى
يَنْقُلُ الخَطْوَ على ما يَرْسُمُ
سمط
زُمَرًا بَيْنَ فُرادى وَثُنا
مِثْلَما يَدْعو الوُفودَ المَوْسِمُ
سمط
وَالحَيا قَدْ جَلَّلَ الرَّوْضَ سَنا
فَثُغورُ الزَّهْرِ فيهِ تَبْسِمُ
قفل
غصن
حينَ لَذَّ النَّوْمُ مِنّا أَوْ كَما
غصن
هَجَمَ الصُّبْحُ هُجومَ الحَرَسِ
غصن
غارَتِ الشُّهْبُ بِنا أَوْ رُبَّما
غصن
أَثَّرَتْ فينا عُيونُ النَّرْجِسِ
بيت
دور
سمط
أَيُّ شَيْءٍ لِامْرِئٍ قَدْ خَلُصا
فَيَكونُ الرَّوْضُ قَدْ مُكِّنَ فيهْ
سمط
تَنْهَبُ الأَزْهارُ فيهِ الفُرَصا
أَمِنَتْ مِنْ مَكْرِهِ ما تَتَّقيهْ
سمط
فَإِذا الماءُ يُناجي وَالحَصى
وَخَلا كُلُّ خَليلٍ بِأَخيهْ
قفل
غصن
الكَريمِ المُنْتَهى وَالمُنْتَمى
غصن
أَسَدِ السَّرْجِ وَبَدْرِ المَجْلِسِ
غصن
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَما
غصن
يَنْزِلُ الوَحْيُ بِروحِ القُدُسِ
بيت
دور
سمط
مُصْطَفى اللهِ سَمِيَّ المُصْطَفى
الغَني بِاللهِ عَنْ كُلِّ أَحَدْ
سمط
مَنْ إِذا عَقَدَ العَهْدَ وَفى
وَإِذا ما فَتَحَ الخَطْبَ عَقَدْ
سمط
مِنْ بَني قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَكَفى
حَيْثُ بَيْتُ النَّصْرِ مَرْفوعُ العَمَدْ
خرجة
غصن
هَلْ دَرى ظَبْيُ الحِمى أَنْ قَدْ حَمى
غصن
قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنَسِ
غصن
فَهْوَ في خَفْقٍ وَحَرٍّ مِثْلَما
غصن
لَعِبَتْ ريحُ الصَّبا بِالقَبَسِ

بعد قراءة الموشح السابق يمكن توضيح أجزائه على النحو الآتي:

أ - المَطْلَع: القُفْل الأول من الموشح، ويتكون عادة من شطرين أو أربعة تسمّى الأغصان، وقد يخلو الموشح من المطلع فيسمى بالأقرع، وإذا وجد يسمى بالتامّ.

ب - الغُصْن: كل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجة، وتتراوح ما بين غصنين إلى ثمانية أغصان، وتتساوى مع الأغصان الأخرى في عددها ووزنها وقافيتها.

جـ - الدَّوْر: مجموعة الأسماط التي تقع بين قُفْلين عمومًا، أو بين المطلع والقُفْل، أو بين القفل والخَرْجَة، ويسمّى كلٌّ منها سِمْطًا، وتتشابه الأدوار في عدد الأسماط وتختلف في القوافي، ولا يقل عدد الأسماط في الدور الواحد عن ثلاثة أسماط.

د - القُفْل: القسم الذي يلي الدور مباشرة، ويشبه المطلع من حيث الوزن والقافية وعدد الأغصان.

هـ - البيت: يتكون من الدّور والقُفْل الذي يليه.

و - السِّمْط: كل شطر من أشطر الدّور، ويتكرر بالعدد نفسه في بنية الموشح، ويجب أن تكون أسماط كلّ دور على رويّ واحد وقافية واحدة.

ز - الخَرْجَة: آخر قُفْل في الموشح، وقد تكون فصيحة اللفظ ولا سيّما إذا كانت في الغزل أو المدح، أو تكون عامية أعجمية وهي المفضلة، وأحيانًا تُسْبَق بكلمة (قال) أو (غنّى) أو أي كلمة أخرى تدل على أن الخرجة ليست استمرارًا للموشح، ويمكن أن تكون مستعارة من موشح آخر.

### ٥- أغراض الموشح

نُظِم الموشح في أكثر أغراض الشعر المعروفة مثل: الغزل والوصف والمدح والرثاء والزهد والطرديات[(١)]. ولأن الموشح ارتبط في نشأته بالغناء فمن الطبيعي أن يُنْظَم في الأغراض التي تناسب الغناء أكثر من غيرها كالغزل، ووصف مجالس السَّمَر، ووصف الطبيعة والتغني بجمال المدن الأندلسية. ونعرض في ما يأتي نماذج لموشحات ذات أغراض مختلفة:

---

(١) الطرديات: الأشعار التي نظمت في الصيد.

أ – **وصف الطبيعة:** يقول ابن المُهَلْهَل[١] في وصف نهر مبرزًا جمال الطبيعة الأندلسية، متكئًا على التشخيص:

النَّهْرُ سَلَّ حُساما   عَلى قُدودِ الغُصونِ
وَلِلنَّسيمِ مَجالُ
وَالرَّوْضُ فِيهِ اخْتِيالُ
مُدَّتْ عَلَيْهِ ظِلالُ
وَالزَّهْرُ شَقَّ كِماما   وَجْدًا بِتِلْكَ اللُّحونِ[٢]

ب– **الغزل:** يقول ابن الزَّقاقِ البَلَنْسِي[٣] متغزلاً:

خُذْ حَديثَ الشَّوْقِ عَنْ نَفْسي   وَعَنِ الدَّمْعِ الَّذي هَمَعا
ما تَرى شَوْقي قَدِ اتَّقَدا
وَهَمى بِالدَّمْعِ وَاطَّرَدا
وَاغْتَدى قَلْبي عَلَيْكَ سُدى
آهِ مِنْ ماءٍ وَمِنْ قَبَسٍ   بَيْنَ طَرْفي وَالحَشا جَمَعا

جـ– **المدح:** ويمثله موشح لسان الدين بن الخطيب «يا زمان الوصل» في مدح أمير غرناطة أبي عبد الله محمد الغني بالله، وقد مرّ بك آنفًا.

## الخصائص الفنية للموشح

يعد الموشح من حيث الشكل الفني ثورة على التشكيل الإيقاعي للقصيدة العربية التي تلتزم وحدة الوزن والقافية والروي، وهي شاهد على قدرة الشعراء الأندلسيين على التجديد والإبداع، ويمكن إجمال الخصائص الفنية للموشح من حيث:

---

(١) أبو الحسن علي بن مهلهل الجلياني، (ت ٣٧٣هـ).
(٢) الكمام: غطاء الزهر.
(٣) علي بن عطية اللخمي المعروف بابن الزقاق البلنسي، (ت ٥٢٨هـ).

**١ – اللغة**

تتفاوت لغة الموشح تفاوتًا كبيرًا بين الفصاحة والتزام قواعد اللغة أحيانًا، والركاكة والضعف أحيانًا أخرى؛ وذلك لأن الغاية الغنائية للموشح وتناسبه مع العامة قادت الوشاحين –أحيانًا– إلى التساهل اللغوي، وعمدوا إلى استخدام الألفاظ العامية العربية والإسبانية في الخرجة.

**٢ – الأسلوب**

مالت أساليبه نحو الصنعة البديعية من: جناس وطباق وتورية وموازنة ومقابلة، وقد أضاف هذا الأسلوب قيودًا على الألفاظ، ما أدى إلى مزيد من التكلف في بعض التراكيب.

**٣ – المعاني**

كانت معانيه مستمدة من البيئة الأندلسية، ومتّسمة بالبساطة والتكرار.

**٤ – الصورة الشعرية**

مال كثير من الوشاحين إلى التشخيص والتجسيم والتشبيه ولا سيما في موشحات وصف الطبيعة ومجالس السَّمَر، إلا أن معظم الصور الفنية كانت تقليدية مألوفة مثل تشبيه الوجه بالبدر، والنهر بالسيف، والماء بالفضة، وحبات البَرَد باللؤلؤ.

**٥ – الموسيقا**

حظيت الموسيقا باهتمام الوشاحين، وقادهم اهتمامهم بها إلى تنويع النغم والأوزان والقوافي ما حقق إيقاعًا يتلاءم مع اللحن والغناء، والاهتمام بالموسيقا الداخلية من خلال اختيار الألفاظ ذات الجرس الموسيقي، وتكرار بعض الحروف.

**٦ – الوزن والقافية**

يتنوع الموشح في الوزن ويتعدد في القافية، فكل دور له قافية واحدة مختلفة عن قافية الأدوار الأخرى، لكن مع الالتزام في الأجزاء المتماثلة، كالأغصان مع الأغصان، والأقفال مع الأقفال.

## الأسئلة

١- عرف كلًّا مما يأتي:
الموشح الأقرع، القفل، السمط.
٢- وضّح العوامل التي أسهمت في نشأة الموشح في الأندلس.
٣- علل ما يأتي:
أ - تسمية الموشح بهذا الاسم.
ب- يظهر التساهل اللغوي لدى الوشاحين أحيانًا في موشحاتهم.
جـ- حظيت الموسيقا باهتمام الوشاحين.
٤- اقرأ موشح «يا شقيق الرّوح» لابن زُهر، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

يا شَقيقَ الرّوحِ مِنْ جَسَدي أَهَوًى بي مِنْكَ أَمْ لَمَمُ؟
ضِعْتُ بَيْنَ العَذْلِ وَالعَذَلِ
وَأَنا وَحْدي عَلى خَبَلِ
ما أَرى قَلْبي بِمُحْتَمِلِ
ما يُريدُ البَيْنُ مِنْ خَلَدي وَهْوَ لا خَصْمٌ وَلا حَكَمُ
أَيُّها الظَّبْيُ الَّذي شَرَدا
تَرَكَتْني مُقْلَتاكَ سُدى
زَعَموا أَنّي أَراكَ غَدا
وَأَظُنُّ المَوْتَ دونَ غَدٍ أَيْنَ مِنّي اليَوْمَ ما زَعموا؟

أ - ما الغرض الشعري الذي جاء عليه الموشح؟
ب- مثّل من النص على أجزاء الموشح.
جـ- استخرج من النص مثالاً على الجناس وآخر على التشبيه.
د - مثّل من خلال النص على الالتزام في الوزن والتنوع في القوافي.
٥- وضح الخصائص الفنية للموشح من حيث: المعاني، والصور الشعرية، والأسلوب.
٦- استنتج سبب ميل الوشاحين الأندلسيين إلى وصف الطبيعة واستلهامها.

### النشاط

- عد إلى الشبكة العالمية للمعلومات ( الإنترنت) واستمع إلى موشح (يا زمان الوصل)، مغنًّى وملحَّنًا.

## خامسًا: الشعر الاجتماعي

امتاز المجتمع الأندلسي إبان الحكم العربي بالتنوع الثقافي والتفاعل الاجتماعي، حيث تألف من عناصر مختلفة الأعراق والأديان، وقد تفاعلت هذه العناصر تفاعلًا عميقًا جعل من المجتمع الأندلسي مجتمعًا متميزًا في بنائه الحضاري والفكري، ولم يكن يتسنى ذلك لولا سياسة حكام الأندلس القائمة على التعايش والتسامح، واحترام مكونات المجتمع الأندلسي.

وقد واكب الشعر الحياة الاجتماعية في الأندلس؛ فصوَّر كثيرًا من مظاهرها، ومن تلك المظاهر التي تناولها الشعر الاجتماعي:

١- تصوير عادات الأندلسيين وتقاليدهم في الأفراح والأتراح، مثل خروج الناس لمراقبة هلال العيد وفرحتهم الغامرة بذلك وتبادل التهاني بهذه المناسبة السعيدة، يقول أبو الحسن بن هارون الشَّنْتَمري (١):

يا لَيْلَةَ العيـدِ عُدْتِ ثانِيَـةً    وَعادَ إِحْسانُكِ الَّذي أَذْكُرْ
إِذْ أَقْبَـلَ النّاسُ يَنْظُرونَ إلى    هِلالِكِ النِّضْوِ ناحِلًا أَصْفَرْ (٢)
فقُلْـتُ لا مُؤْمِنًا بِقَوْلِيَ بَـلْ    مُعَـرِّضًـا لِلْكَـلامِ لا أَكْـثَـرْ
بَلْ أَثَّرَ الصَّـوْمُ في هِلالِكُمْ    هذا الَّذي لا يَكادُ أَنْ يَظْهَرْ

ويقول ابن زيدون مهنئًا حاكم قرطبة أبا الوليد بن جَهْور بالعيد:

هَنيئًا لَـكَ العيدُ الَّذي بِكَ أَصْبَحَتْ    تَروقُ الضُّحى مِنْهُ وَتَنْدى الأَصائِلُ
تَلَقّاكَ بِالبُشْـرى وَحَيّاكَ بِالْمُـــنى    فَبُشْـراكَ أَلْفٌ بَعْـدَ عـامِكَ قابِـلُ

ومن عادات الأندلسيين لبس الثياب البيضاء في الأتراح والأحزان، يقول أبو الحسن الحصري(٣):

إِذا كـانَ البَيـاضُ لِباسَ حُزْنٍ    بِأَنْدَلُسٍ فَـذاكَ مِـنَ الصَّوابِ
أَلَمْ تَرَنـي لَبِسْتُ بَياضَ شَيْبي    لِأَنّي قَدْ حَزِنْتُ عَلى الشَّبابِ

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن هارون الشنتمري المالقي، (ت ٥٠٧هـ).
(٢) النضو: المهزول.
(٣) أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري، (ت ٤٨٨هـ).

٢- مشاركة المسيحيين في الأندلس مناسباتهم، ومنحهم حرية العبادة وإقامة الكنائس.

يقول الشاعر حسان بن أبي عبدة [١] :

أَرى المِهْرَجانَ قَدِ اسْتَبْشَرا غَداةَ بَكى المُـزْنُ وَاسْتَعْبَرا

وَسُرْبِلَتِ الأَرْضُ أَفْوافَهـا وَجُلِّلَتِ السُّنْـدُسَ الأَخْضَرا [٢]

وَهَـزَّ الـرِّيـاحُ صَنابيـرَها فَضَوَّعَـتِ المِسْكَ وَالعَنْبَرا [٣]

تَهـادى بِـهِ النّاسُ أَلْطافَهُـمْ وَسامَ المُـقِـلُّ بِـهِ المُـكْثِرا

٣- وصف المهن التي يعمل بها الناس، وتصوير معاناتهم، كقول ابن سارة الأندلسي[٤] مصوّرًا كساد حرفة الوِراقَة:

أَمّا الوِراقَـةُ فَـهْيَ أَنْكَـدُ حِرْفَةٍ أَوْراقُـهـا وَثِـمـارُهـا الـحِرْمـانُ [٥]

شَبَّهْتُ صاحِبَها بِصاحِبِ إِبْرَةٍ تَكْسو العُراةَ وَجِسْمُـهـا عُرْيـانُ

٤- وصف مظاهر التطور العمراني كالقصور والمساجد والكنائس، يقول ابن وهبون [٦] في وصف قصر الزاهي في إشبيلية:

وَلِلزّاهي الكَمالُ سَنًا وَحُسْنًا كَما وَسِعَ الجَلالَةَ وَالكَمـالا

يُحاطُ بِشَكْلِهِ عَرْضًا وَطـولًا وَلكِنْ لا يُحـاطُ بِـهِ جَمـالا

وَقورٌ مِثْلُ رُكْنِ الطَّوْدِ ثَبْـتًا وَمُخْتالٌ مِنَ الـحُسْنِ اخْتيالا

فَما أَبْقى شِهابًا لَمْ يُصَـوَّبْ وَلا شَمْسًا تُـنيرُ وَلا هِـلالا

---

(١) الوزير حسان بن مالك بن أبي عبدة، (ت ٤١٦ هـ).

(٢) الأفواف: مفردها فوف، وهو الثوب الرقيق الموشى المخطط.

(٣) صنابيرها: المفرد صنبور وهي النخلة تخرج من أصل النخلة الأخرى من غير أن تغرس.

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكري الشنتريني، (ت ٥١٧ هـ).

(٥) حرفةُ الورّاق الذي يُورِّقُ الكتبَ، ويشمل ذلك أعمال النسخ والتصحيح والتجليد، وبيع أدوات الكتابة.

(٦) أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي، لقب بالدمعة، (ت ٤٨٤ هـ).

### الخصائص الفنية للشعر الاجتماعي

بعد دراسة النماذج الشعرية السابقة نستخلص الخصائص الفنية الآتية:

١- جاء في معظمه مقطوعات شعرية قصيرة، ولا سيما عند وصف المهن وتبادل التهاني.

٢- يوظف اللغة السهلة والألفاظ الاجتماعية السائدة في المجتمع الأندلسي، مثل: ليلة العيد، والمهرجان، والوِراقة.

٣- يميل إلى المعاني البسيطة ويوظف الصور الشعرية السهلة، كتشبيه صاحب الوِراقة بصاحب الإبرة التي تكسو الناس، وأثر الصوم في الهلال حتى غدا نحيلًا.

## الأسئلة

١- بين مظاهر التعايش والتفاعل في الأندلس من خلال ما درست.

٢- اذكر بعض العادات الاجتماعية في الأندلس.

٣- استنتج المظهر الذي يمثله كل بيت من مظاهر الشعر الاجتماعي:

أ - قالوا الكِتابَةُ أَعْلى خُطَّةٍ رُفِعَتْ ... قُلْتُ الحِجامَةُ أَعْلى عِنْدَ أَقْوامِ

ب- كُلُّ قَصْرٍ بَعْدَ الدِّمَشْقِ يُذَمُّ ... فيهِ طابَ الجَنى وَفاحَ المِشَمُّ

جـ- بُشْرى بِيَوْمِ المِهْرَجانِ فَإِنَّهُ ... يَوْمٌ عَلَيْهِ مِنَ احْتِفائِكَ رَوْنَقُ

٤- اقرأ النص الآتي، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

يقول ابن خفاجة مهنئًا صديقه بعيد الأضحى المبارك، مشيرًا إلى الأضحية:

لِيُهْنِكَ وافِدُ أُنْسٍ سَرى ... فَسَرّى وَفَضْلُ سُرورٍ طَرَقْ

فَما شِئْتَ مِنْ ماءِ وَرْدٍ بِهِ ... أَراقَ وَمِنْ ثَوْبِ حُسْنٍ أَرَقْ

وَسَوْداءَ تُدْمى بِهِ مَنْحَرًا ... كَما اعْتَرَضَ اللَّيْلُ تَحْتَ الشَّفَقْ

سَتَخْلَعُ مِنْ فَرْوِها ضَحْوَةً ... سَوادَ الدُّجى عَنْ بَياضِ الفَلَقْ

أ - استنتج المظهر الاجتماعي الذي تمثله الأبيات السابقة.

ب- مثّل من النص السابق على خصائص الشعر الاجتماعي في الأندلس.

### النشاط

- عد إلى كتاب « زمان الوصلِ، دراساتٌ في التّفاعلِ الحضاريّ والثقافيّ في الأندلسِ» للدكتور صلاح جرار، واكتب تقريرًا عن أسباب التسامح الدينيّ في الأندلس، وناقشه مع زملائك.

تأثر النثر في الأندلس بالنثر في المشرق العربي، فقد تعرفت عند دراستك النثر العباسي أسلوب كل من: ابن المقفع، والجاحظ، وابن العميد، وأبي حيّان التوحيدي، وسنجد أصداء ذلك في الأندلس؛ حيث تناول الأندلسيون ما كان معروفًا في المشرق من رسائل ديوانية وشخصية وخطب ووصايا، وأبدعوا خاصة في فن الرسائل الأدبية التأليفية وفن القصص الفلسفية، ونتناول في ما يأتي هذين الفنين النثريين بدراسة أشهر النماذج التي وصلت إلينا.

## أولًا: الرسائل الأدبية التأليفية

أبدع الأندلسيون في فن الكتابة التأليفية، وهي مجموعة رسائل أدبية تتنوع أهدافها بين الترفيه عن النفس بما تلذّ قراءته، وشرح الحقائق بأسلوب قصصي خيالي، مصورة عواطف الناس وأهواءهم في حياتهم الخاصة والعامة. وأشهر من كتب في هذا المجال من الأندلسيين: ابن حزم(١) صاحب «طوق الحمامة في الألفة والألّاف»، وابن شُهيد(٢) صاحب «التوابع والزوابع».

### ١ - طوق الحمامة في الألفة والألّاف

هي رسالة رد بها ابن حزم على سائل بعث إليه من مدينة ألمِرْيَة (٣) يسأله أن يصنف له رسالة في صفة الحُبّ ومعانيه وأسبابه وأغراضه، وما يقع منه على سبيل الحقيقة.

يقع طوق الحمامة في ثلاثين بابًا، تناول فيها ابن حزم الحبّ في نشأته وتطوره وأغراضه ودرجاته وأنواعه ومكامن السعادة والتعاسة فيه.

يقول ابن حزم في باب علامات الحبّ:

«وللحبّ علامات يقفوها الفطن، ويهتدي إليها الذكي. فأولها إدمان النظر، والعين باب النفس الشارع(٤)، وهي المنقّبة عن سرائرها، والمعبرة لضمائرها، والمعربة عن بواطنها،

---

(١) أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، يعد من أشهر أدباء الأندلس، وكان فقيهًا كذلك، (ت ٤٥٩هـ).

(٢) أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شُهيد الأندلسي، أديب وشاعر أندلسي، (ت ٤٢٦هـ).

(٣) ألمِرْيَة: ثغر مهم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر.

(٤) الشارع: البادئ فيه، من الفعل (شرعَ).

فترى الناظر لا يطرف، يتنقّل بتنقّل المحبوب، وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس. وفي ذلك أقول شعرًا:

فَلَيْسَ لِعَيْني عِنْدَ غَيرِكَ مَوقِــفٌ     كَأَنَّكَ ما يَحْكونَ مِنْ حَجَرِ البَهْـتِ(١)

أُصَرِّفُها حَيثُ انْصَرَفْتَ وَكَيْفَما     تَقَلَّبْتَ كَالمَنْعوتِ في النَّحْوِ وَالنَّعْتِ

ومنها الإقبال بالحديث، فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمد ذلك، وإن التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه، والإنصات لحديثه إذا حدّث، واستغراب كل ما يأتي به ولو أنه عين المحال وخرق العادات».

### الخصائص الفنية لرسالة ابن حزم

بعد دراسة النموذج السابق من رسالة طوق الحمامة نلاحظ أنها:

١– تستخدم عبارات قصيرة سلسة بعيدة عن التكلف، وذلك واضح في قول ابن حزم «فترى الناظر لا يطرف، يتنقل بتنقّل المحبوب، وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس».

٢– تعالج عاطفة الحب من منظور إنساني مستخدمةً التسلسل المنطقي، فأول علامات الحب عند ابن حزم إدمان النظر، ثم الإقبال بالحديث... .

٣– تستشهد بالشعر لتوضيح المعنى.

---

(١) حجر البهت: حجر أبيض شفاف يتلألأ حسنًا.

### ٢- التوابع والزوابع

يرجع سبب تأليف هذه الرسالة إلى أن كاتبها ابن شُهيد الأندلسي لم ينل من أدباء عصره وعلمائه إلا النقد، فأراد أن يثبت لنظرائه قدرته على الكتابة، فاخترع شياطين للشعراء المشهورين والكُتّاب النابهين؛ ليسمعهم من شعره ونثره ما يحملهم على الاعتراف له بالتفوق والعبقرية في زمانه، وجرت بينه وبينهم مطارحات أدبيّة، ومناقشات لغوية تجلّت فيها آراء ابن شُهيد النقديّة، وقد أجازوه، وذلك باعترافهم بتفوّقه وجودة أدبه. وقد وجّه ابن شُهيد رسالته إلى شخص كناه أبا بكر (وهو شخصية خيالية).

اختار ابن شُهيد لرسالته اسم « التوابع والزوابع »؛ لأنه جعل مسرحها عالم الجن، واتخذ كل أبطالها – في ما عداه – من الشياطين. فالتوابع: جمع تابع أو تابعة وهو الجنيّ أو الجنيّة، ويكونان مع الإنسان يتبعانه حيث ذهب. والزوابع: جمع زوبعة: وهو اسم شيطان أو رئيس للجن.

يحكي ابن شُهيد في رسالته رحلة في عالم الجن اتصل من خلالها بتوابع الشعراء والكُتّاب، وناقشهم وناقشوه، وأنشدهم وأنشدوه، وعرض في أثناء ذلك بعض آرائه النقدية في الأدب واللغة، وكثيرًا من نماذج شعره ونثره، ودافع عن فنّه، وانتزع من توابع الشعراء والكُتّاب الذين حاورهم شهادات بتفوقه في الشعر والأدب.

## الأسئلة

١– بين الهدف من الكتابة التأليفية.

٢– علل تسمية ابن شُهيد رسالته « التوابع والزوابع ».

٣– اقرأ النص الآتي من رسالة «طوق الحمامة»، ثم استنتج من خلاله أهم خصائص الرسالة:

يقول ابن حزم في باب من أحبّ بالوصف:

ومن غريب أصول العشق أن تقع المحبة بالوصف دون المعاينة، وهذا أمر يُترقّى منه إلى جميع الحب، فتكون المراسلة والمكاتبة، والهم والوجد، والسهر على غير الإبصار، فإنّ للحكايات ونعت المحاسن ووصف الأخبار، تأثيرًا في النفس ظاهرًا. وأن تسمع نَغمتها من وراء جدار، فيكون سببًا للحب واشتغال البال. وفي ذلك أقول شعرًا:

وَيا مَنْ لامَني في حُـــ ـــبِّ مَنْ لَـمْ يَـرَهُ طَـرْفـي
لَقَدْ أَفْرَطْـتَ في وَصْفِـ ـكَ لِي في الحُبِّ بالضَّعْفِ
فَقُلْ: هَلْ تُعْـرَفُ الجَنَّـ ـةُ يَـوْمًـا بِسـوى الـوَصْـفِ

٤– كيف انتزع ابن شهيد من توابع الشعراء والخطباء شهادة بتفوقه في الأدب؟

٥– وازن بين رسالتي: «طوق الحمامة» و«التوابع والزوابع» من حيث: سبب التأليف، والموضوع.

## ثانيًا: فنّ القصة الفلسفية

كثرت القصص الفلسفية التأملية في العصر الأندلسي، إذ كان كتّابها يتخذونها وسيلة للتعبير عن فكرهم وفلسفتهم وآرائهم. ومن أمثلة هذه القصص قصة (حيّ بن يقظان) لابن طفيل(١).

وهذه القصة تلخيص فلسفي تأملي جميل لأسرار الطبيعة والخَليقة، عُرِضَت من خلال حياة طفل يدعى (حيّ بن يقظان) أُلقيَ في جزيرة مجهولة من جزائر الهند، جنوب خط الاستواء. وقد استطاع هذا الطفل بالملاحظة والتأمل التدريجي لظروف الحياة ومظاهرها الطبيعية أن يدرك بفطرته وتفكيره أنّ لهذا الكون خالقًا.

يذكر ابن طفيل في قصته أن الجوع قد اشتد بالطفل حي بن يقظان، فأخذ يبكي ويستغيث ويعالج الحركة، حتى وقع صوته في أذن ظبية كانت قد فقدت ولدًا لها، « فلما سمعت الصوت ظَنّتْه ولدها فتبعت الصوت حتى وصلت إلى التابوت ففحصت عنه بأظلافها وهو يئن من داخله حتى طار عن التابوت لوح من أعلاه»، فوجدت الظبية في هذا الصغير المتروك عوضًا عن ولدها، فحضنته، « وأروته لبنًا سائغًا وما زالت تتعهده وتربيه وتدفع الأذى عنه».

يسرد ابن طفيل في قصته بدقةٍ كيف يتعلم الطفل من الظبية ومما حوله من الحيوان في الجزيرة كثيرًا من الأشياء التي تعينه على كشف الحقائق واكتساب المعارف والمهارات، ويحكي جميع ما يسمعه من أصوات. ثم تموت الظبية التي قامت على رعايته، فيهتم لذلك ويقف أمام جثّتها في حيرة، حتى يهديه تفكيره إلى شق صدرها في محاولة لمعرفة ما أصابها، فيكتشف أن شيئًا ما قد فارق الجسد؛ به تكون الحياة أو لا تكون. ثم يهتدي إلى طريقة دفن جسد الظبية بعد أن تعفن. وبعد ذلك يعتمد على نفسه مستخدمًا معارفه في اكتشاف ضروريات الحياة من النار وبعض ألوان الطعام.

يقول ابن طفيل: « واتفق في بعض الأحيان أن انقدحت نار في أَجَمة (٢).. فلما بصر بها رأى منظرًا هالَهُ، وخلقًا لم يعهده من قبل، فوقف يتعجب منها مليًّا، وما زال يدنو منها شيئًا فشيئًا، فرأى للنار من الضوء الثاقب والفعل الغالب، حتى لا تعلق بشيء إلا أتت عليه، وأحالته

(١) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي الأندلسي، فيلسوف ومفكر وطبيب، (ت ٥٨١هـ).

(٢) الأجمة: الشجر الكثير الملتف، جمعها آجام.

إلى نفسها، فحمله العجب بها وبما ركب الله ـ تعالى ـ في طباعه من الجراءة والقوة على أن يمد يده إليها، وأراد أن يأخذ منها شيئًا فلما باشرها أحرقت يده، فلم يستطع القبض عليها، فاهتدى إلى أن يأخذ قبسًا لم تستول النار على جميعه، فأخذ بطرفه السليم والنار في طرفه الآخر فحمله إلى موضع كان يأوي إليه...فكان يزيد أُنسه به ليلًا لأنها كانت تقوم مقام الشمس في الضياء والدفء، فعظم به ولوعه، واعتقد أنها أفضل الأشياء إليه».

### الخصائص الفنية لقصة حي بن يقظان

تميز أسلوب ابن طفيل في قصة حي بن يقظان بالخصائص الآتية:

١– تأثر بمضامين القرآن الكريم، ولا سيما بقصة سيدنا موسى – عليه السلام – عند ذكر التابوت والنار التي استأنس بها.

٢– يعتمد التأمل والتفكر في الخلق والكون، وهذا واضح في قوله عند تفكيره وتأمله بعد وفاة الظبية فاهتدى إلى شق صدرها لمعرفة ما أصابها.

٣– عني بدقة الوصف والسرد، ولا سيّما عند الحديث عن تعلم الطفل من الظبية وما حوله المهارات واكتشاف الأشياء واعتماده على نفسه بعد موت الظبية.

## الأسئلة

١- بين هدف ابن طفيل من تأليف قصة (حي بن يقظان).

٢- مثل على الخصائص الفنية لقصة حي بن يقظان من النص الآتي:

«ثم إنه سنح لنظره غرابان يقتتلان حتى صرع أحدهما الآخر ميتًا، ثم جعل الحي يبحث في الأرض حتى حفر حفرة فوارى فيها ذلك الميت بالتراب، فقال في نفسه: ما أحسن ما صنع هذا الغراب في مواراة جيفة صاحبه وإن كان قد أساء في قتله إياه! وأنا كنت أحق بالاهتداء إلى هذا الفعل بأمي! فحفر حفرة وألقى فيها جسد أمه، وحثا عليها وبقي يتفكر في ذلك الشيء المصرف للجسد ما يدري ما هو ... ثم إنه بعد ذلك أخذ في تصفح جميع الأشياء التي في عالم الكون والحياة من الحيوانات على اختلاف أنواعها والنبات وأصناف الحجارة والتراب والماء والبخار والثلج والدخان والجمر، فرأى لها أفعالًا مختلفة وحركات متفقة ومتضادة، وأنعم النظر في ذلك، فرأى أنها تتفق ببعض الصفات وتختلف ببعض».

٣- وازن بين رسالة «التوابع والزوابع» وقصة «حي بن يقظان» من حيث: سبب التسمية، والهدف من التأليف.



# الوحدة الثانية
# الأدب في العصرين: الأيوبي والمملوكي

## النتاجات الخاصة بالوحدة

**يتوقع من الطالب بعد دراسة الوحدة أن:**

- يتعرف أهم أغراض الشعر في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ:( شعر الجهاد، والمدائح النبوية ).
- يتبين صدى الغزوين: الصليبيّ والمغوليّ، في الشعر في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ.
- يوضّح السّمات الفنية لشعر الجهاد في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ.
- يفسر أسباب ازدهار شعر المدائح النبويّة في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ.
- يسمّي أبرز شعراء المدائح النبوية في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ.
- يستخلص الموضوعات والمضامين التي تضمّنتها قصيدة المديح النبويّ.
- يتعرف أشهر الفنون النثرية في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ ( أدب الرحلات، وفن الرسائل، وفن الخطابة، والتأليف الموسوعيّ).
- يتعرف أشهر الرحّالة وكتّاب الرسائل والخطباء في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ.
- يحلل نماذج من: أدب الرحلات، والرسائل، والخطب.
- يتعرف أهم الموسوعات في العصرين: الأيوبيّ والمملوكيّ.
- يثمن الفنون الأدبية باعتبارها تؤرخ لحقبة زمنية.
- يتعرف أسباب ضعف الأدب العربي في العصر العثمانيّ.
- يتعرف عوامل نهضة الأدب العربي في العصر الحديث، وأهم الرواد والأدباء الذين أسهموا فيها.

## قضايا من الشعر في العصرين: الأيوبي والمملوكي

حفل العصران: الأيوبي والمملوكي بالأحداث الجسام، التي أصابت أقطار العالم الإسلامي بالتفكك السياسي والعسكري؛ من جراء الغزوين: الصليبي والمغولي لمشرق العالم العربي. وقد كان للأدب دور كبير في تصوير تلك الأحداث، واستنهاض همم المسلمين، وحثهم على الجهاد، وتحرير أراضي المسلمين.

### أولًا: شعر الجهاد

#### ١- صدى الغزو الصليبي في الشعر

تعرضت ديار الإسلام في المشرق العربي لغزو صليبيّ امتد من أواخر القرن الخامس الهجري إلى أواخر القرن السابع الهجري، وشهدت هذه الحقبة نزاعات داخلية بين أمراء الدول الإسلامية وقادتها فضعفت قوتهم العسكرية؛ ما هيّأ لدول أوروبا أن تغزو المشرق العربي وتحتل بعض مدنه تحت مسمى «الحروب الصليبية».

وقد قيض الله – تعالى – للأمة بعض القادة أمثال: عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، الذين عملوا على توحيد صفوف المسلمين في بلاد الشام ومصر؛ لمواجهة هذا الغزو وتحرير ما احتله الأعداء بعد حروب طاحنة أعادت للأمة حقها وهيبتها.

واكب الشعر هذه الحروب، وصوّر أحداثها تصويرًا دقيقًا، وأشاد بفتوحاتها، ومدح أبطالها وقادتها، وصارت هذه الحروب هي الصبغة العامة لموضوعاته، فلا يكاد ديوان شعر يخلو في هذه الحقبة من قصائد عن البطولات الرائعة في مقاومة الصليبيين، ولم يكتف الشعراء بذلك، بل وصفوا النكبات التي مُنِي بها المسلمون، ولا سيما الجرائم الوحشيّة التي اقترفها الصليبيون في القدس وغيرها من المدن الإسلامية.

ويمكن القول إن الشعر عايش أحداث هذا العصر في مضامين ثلاثة، هي:

### أ – تصوير سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين

ومن القصائد المبكرة التي صوّرت هذا الحدث قصيدة الشاعر محمد بن أحمد الأَبيوَرْديّ(١)، التي قالها بعد احتلال الصليبيين بيت المقدس سنة (٤٩٢هـ)، ووصف فيها آثار هذا الاحتلال، وحث على إذكاء المشاعر واستنهاض الهمم، وحضّ على قتال الغزاة، ومنها:

مَزَجْنا دِماءً بِالدُّموعِ السَّواجِمِ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنّا عَرْصَةٌ لِلمَراحِمِ(٢)
وَشَرُّ سِلاحِ المَرْءِ دَمْعٌ يُفيضُهُ ... إذا الحَرْبُ شُبَّتْ نارُها بِالصَّوارِمِ
وَكَيْفَ تَنامُ العَيْنُ مِلْءَ جُفونِها ... عَلى هَفَواتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نائِمِ؟
فَإِيهًا بَني الإِسْلامِ إِنَّ وَراءَكُمْ ... وَقائِعَ يُلْحِقْنَ الذُّرى بِالمَناسِمِ(٣)

ومن ذلك قول ابن المجاور(٤) يبكي ما حلّ بالمسجد الأقصى بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، ويربط بين الأماكن المقدسة في أحزانها:

أَعَيْنَيَّ لا تَرْقَيْ مِنَ العَبَراتِ ... صِلي في البُكا الآصالَ بِالبُكُراتِ
عَلى المَسْجِدِ الأَقْصى الَّذي جَلَّ قَدْرُهُ ... عَلى مَوْطِنِ الإِخْباتِ وَالصَّلَواتِ(٥)
لِتَبْكِ عَلى القُدْسِ البِلادُ بِأَسْرِها ... وَتُعْلِن بِالأَحْزانِ وَالتَّرَحاتِ
لِتَبْكِ عَلَيْها مَكَّةٌ فَهْيَ أُخْتُها ... وَتَشْكو الَّذي لاقَتْ إِلى عَرَفاتِ

### ب– الدعوة إلى تحرير المدن ولا سيما بيت المقدس

أخذ الشعراء على عاتقهم عبء التحريض على مواجهة الصليبيين واستثارة الهمم والعزائم.

---

(١) أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق الأبيوردي، شاعر وكاتب، (ت ٥٠٧هـ).
(٢) السواجم: الجارية.
(٣) إيهًا: اسم فعل أمر، ومعناه طلب الكفّ والانتهاء. الذرى: ذروة كل شيء أعلاه وذرى الإبل أسنمتها. المنسم: طرف الخف.
(٤) ابن المجاور: جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن مجاور الشيباني الدمشقي، ولد في دمشق، ونشأ في بغداد وترعرع فيها، (ت ٦٩٠هـ).
(٥) الإخبات: الخشوع والتواضع.

فهذا ابن القيسراني[1] يدعو القائد نور الدين زنكي إلى إنقاذ بيت المقدس في قصيدة يعارض[2] فيها أبا تمام في قصيدته المشهورة «فتح عموريّة»:

هذي العَزائِمُ لا ما تَدَّعي القُضُبُ ... وَذي المَكارِمُ، لا ما قالَتِ الكُتُبُ
وَهذِهِ الهِمَمُ اللّاتي مَتى خَطَبَتْ ... تَعَثَّرَتْ خَلْفَها الأَشْعارُ وَالخُطَبُ
صافَحْتَ يا بْنَ عِمادِ الدّينِ ذَرْوَتَها ... بِراحَةٍ لِلمَساعي دونَها تَعَبُ
فَانْهَضْ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصى بِذي لَجَبٍ ... يوليكَ أَقْصى المُنى، فَالقُدْسُ مُرْتَقِبُ

### جـ- تسجيل الانتصارات، والتهنئة بالفتوحات ولا سيما فتح بيت المقدس

لم يكن الشعر بمعزل عن أحداث هذه المرحلة وما فيها من معارك فاصلة، وانتصارات خالدة، بل إنه تابع تفصيلات هذه الأحداث متابعة دقيقة في نقاط التّماسّ مع قوى الصليبيين الباغية.

قال ابن السّاعاتي[3] في فتح طبرية سنة (٥٨٣هـ) وقد نوّه بهذا الفتح المبين، وأشاد بالبطل المظفر صلاح الدين صاحب النصر الأغرّ، وبيّن مكانة هذا الفتح العظيم وارتباطه بمكة والقدس:

جَلَتْ عَزَماتُكَ الفَتْحَ المُبينا ... فَقَدْ قَرَّتْ عُيونُ المُؤْمِنينا
رَدَدْتَ أَخيذَةَ الإِسْلامِ لَمّا ... غَدا صَرْفُ القَضاءِ بِها ضَمينا
غَدَتْ في وَجْنَةِ الأَيّامِ خالاً ... وَفي جيدِ العُلا عِقْدًا ثَمينا
فَيا للهِ كَمْ سَرَّتْ قُلوبًا ... وَيا للهِ كَمْ أَبْكَتْ عُيونا
وَما طَبَرِيَّةٌ إِلّا هَدِيٌّ ... تَرَفَّعُ عَنْ أَكُفِّ اللّامِسينا

وفي السنة نفسها التي فُتحت فيها طبرية جاءت معركة حطين الخالدة، الموقعة الفاصلة في التاريخ الإسلامي التي انتصر فيها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين،

---

(١) شرف الدين ابن القيسراني، نسبة إلى (قيسارية) في ساحل بلاد الشام، نزل بها فنسب إليها، (ت ٥٤٨هـ).

(٢) المعارضات قصائد نسجها قائلوها على نمط قصائد سابقة مشهورة، تشترك معها في الوزن والقافية وموضوعها العام وحرف الروي وحركته. ومطلع قصيدة (فتح عمورية) لأبي تمام:

السيف أصدق إنباءً من الكتبِ ... في حده الحدّ بين الجدّ واللعبِ

(٣) علي بن رستم، المعروف بابن الساعاتي؛ لأن والده عرف بصنع الساعات، نشأ وتثقف في دمشق. وبعد أكثر من ثلاثين عامًا مضى إلى مصر وأقام بها، (ت ٦٠٤هـ).

وتمكنوا من تحرير بيت المقدس ثم تحرير معظم ما كان محتلًّا من ديار الإسلام في بلاد الشام.

كان فتح القدس الأمل المنشود لكل مسلم عاش زمن تلك الحروب، وقد ترك هذا النصر أصداء طيبة في نفوس المسلمين الذين قرّت عيونهم باسترداد بيت المقدس، بعد أن طال العهد على احتلاله، يقول الرشيد النابلسي(١):

هذا الَّذي كانَتِ الآمالُ تَنْتَظِـــــــرُ ... فَلْيوفِ للهِ أَقْوامٌ بِمــــا نَـــذَروا
يا بَهْجَةَ القُدْسِ أَنْ أَضْحى بِهِ عَلَم الـ ... إسْلامِ مِنْ بَعْدِ طَيٍّ وَهْوَ مُنْتَشِــرُ
اللهُ أَكْبَرُ صَــــوْتٌ تَقْشَعِرُّ لَـــــهُ ... شُمُّ الذُّرى وَتَكادُ الأَرْضُ تَنْفَطِـرُ
ما اخْضَرَّ هذا الطِّرازُ السّاحِلِيُّ ثَـرًى ... إلّا لِتَعْلو بِهِ أَعْلامُكَ الصُّفُــــرُ (٢)

وشهد الشعر المعارك الأخيرة التي أخرجت الغزاة من بلاد المسلمين، فسجلوا أفراحها تسجيلًا دقيقًا فيه النشوة بتحقيق الآمال المنتظرة منذ مدة طويلة، فلا تخلو معركة انتصر فيها المسلمون إلا وتنافس الشعراء في نظم القصائد فرحًا بالنصر، وابتهاجًا بخذلان الكفر، ومن ذلك لما حُررت مدينة عكا على يد الملكِ الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون بعد أن ظلت محتلة أكثر من مئة عام بعد معركة حطين، وهُزم آخر جيش للصليبيين سنة (٦٩٠هـ) وأُخرجوا من معقلهم الأخير، وفي ذلك قال شهاب الدين محمود الحلبي(٣):

هـذا الَّذي كانَتِ الآمالُ لَوْ طَلَبَـتْ ... رُؤْياهُ في النَّوْمِ لاَسْتَحْيَتْ مِنَ الطَّلَبِ
أُمُّ الحُـروبِ فَكَمْ قَــدْ أَنْشَأَتْ فِتَنًا ... شابَ الوَليدُ بِها هَـوْلًا وَلَمْ تَشِـــبِ
يا يَوْمَ عَكّا لَقَــدْ أَنْسَيْتَ مَا سَبَقَـتْ ... بِهِ الفُتوحُ وَما قَدْ خُـطَّ فــي الْكُتُبِ
فَقَرَّ عَيْنًا لِهــــذا الفَتْحِ وَابْتَهَجَـتْ ... بِبِشْرِهِ الكَعْبَةُ الْغَرّاءُ فــــي الحُجُبِ

## ٢– صدى الغزو المغولي في الشعر

غزا المغول العالم الإسلامي قبل انتهاء الحروب الصليبية، فقضوا على الخلافة العباسية ودمّروا عاصمتها بغداد سنة (٦٥٦هـ)، وعاثوا في الأرض قتلاً لأهلها ودمارًا لديارها وحرقًا لمكتباتها.

(١) عبد الرحمن بن بدر بن الحسن، رشيد الدين النابلسي، كان مقيمًا بدمشق وفيها توفّي، (ت ٦١٩هـ).
(٢) لم يحرك حرف الواو في (لتعْلو) بالفتح للضرورة الشعرية والوزن.
(٣) شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي، (ت ٧٢٥هـ).

وقد تفاعل الشعراء مع أحداث هذا الغزو بتصويرها والإشادة ببطولات قادتها من المسلمين، ورثاء شهدائها وتبيان آثارها في ديار المسلمين، ويمكننا الوقوف على أبرز ما في هذه الأحداث من مضامين:

### أ – تصوير سقوط المدن

سقط كثير من المدن الإسلامية في يد الغزو المغولي من أهمها مدينة بغداد، فكان سقوطها حدثًا جللًا له وقع مؤلم في نفوس المسلمين جميعهم؛ فنظم شعراؤهم مراثي تشيع الأسى في النفوس وتثير شجونها، من هذه المراثي قول ابن أبي اليُسر(١):

لِسائِلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدادَ إخْبـــــارُ ... فَما وُقوفُكَ وَالأَحْبابُ قَدْ ساروا
يا زائرينَ إلى الزَّوْراءِ لا تَفِـــدوا ... فَما بِذاكَ الحِمى وَالدّارِ دَيّــارُ(٢)
تاجُ الخِلافَةِ وَالرَّبْعُ الَّذي شَرُفَـتْ ... بِـهِ الـمَعـالِـمُ قَـدْ عَـفّـاهُ إقْـفـارُ
أَضْحى لِعَصْفِ البِلى في رَبْعِهِ أَثَـرٌ ... وَلِـلـدُّمـوعِ عَـلـى الآثـارِ آثــارُ
إلَيْكَ يا رَبَّنا الشَّكْوى فَأَنْتَ تَـرى ... ما حَـلَّ بِالدّينِ وَالباغونَ فُجّـارُ

ثم سقطت مدينة دمشق على يد القائد المغولي غازان سنة (٦٩٩هـ)، وبيّن الشاعر علي الأوتاري(٣) ما حل بهذه المدينة من قتل النفوس، ونهب الأموال، واسترقاق الأولاد، وسبي النساء وقتلهن، وتخريب البلاد، فقال:

أَحْسَنَ اللهُ يـا دِمَـشْـقُ عَــزاكِ ... في مَـغـانـيـكِ يـا عِمادَ البِـــلادِ
وَبِـأُنْـسٍ بِـ (قـاسيـونَ) وَنــاسٍ ... أَصْبَحوا مَغْنَمًا لِأَهْلِ الفَســادِ(٤)
طَرَّقَتْهُمْ حَـوادِثُ الدَّهـرِ بِالقَتْــ ... ـلِ وَنَهْبِ الأَمْـــوالِ وَالأَوْلادِ

### ب– تسجيل الانتصارات

كانت معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ) بقيادة السلطان قطز بداية تحرير البلاد الإسلامية من المغول، ودخل الملك المظفر قطز دمشق في موكب عظيم. وكان لهذا الحدث العظيم

---

(١) تقي الدين أبو محمد، إسماعيل بن أبي اليسر التنوخي، كان له يد في النظم والنثر، (ت ٦٧٢هـ).
(٢) فما بذاك الحمى والدّار ديّار: أي لا يوجد فيها أحد.
(٣) علاء الدين علي الأوتاري الدمشقي، (ت٧٢٤هـ).
(٤) قاسيون: جبل مشهور في مدينة دمشق.

تأثيره العميق في نفوس المسلمين جميعًا، وكان أشد فرحًا وأعظم تأثيرًا في نفوس الشعراء منهم، فتغنوا بهذا النصر المؤزر، فقال أحدهم مصورًا مصير المغول، ومشيدًا بالسلطان المظفر قطز:

هَلَكَ الكُفْرُ في الشَّآمِ جَميعًا وَاسْتَجَدَّ الإِسْلامُ بَعْدَ دُحوضِهْ[1]
بِالمَليكِ المُظَفَّرِ المَلِكِ الأَرْ وَعِ سَيْفِ الإِسْلامِ عِنْدَ نُهوضِهْ
مَلِكٌ جاءَنا بِعَزْمٍ وَحَزْمٍ فَاعْتَزَزْنا بِسُمْرِهِ وَبِبيضِهْ
أَوْجَبَ اللهُ شُكْرَ ذاكَ عَلَيْنا دائِمًا مِثْلَ واجِباتِ فُروضِهْ

وقال شرف الدين الأنصاري[2] من قصيدة يمدح فيها الملك المنصور الثاني الأيوبي صاحب حماة مع جنده إلى جانب المظفر قطز في معركة عين جالوت:

رُعْتَ العِدى فَضَمِنْتَ ثَلَّ عُروشِها وَلَقيتَها فَأَخَذْتَ فَلَّ جُيوشِها
دارَتْ رَحى الحَرْبِ الزَّبونِ عَلَيْهِمُ فَغَدَتْ رُؤوسُهُمُ حُطامَ جَريشِها[3]
وَطَوَيْتَ عَنْ مِصْرٍ فَسيحَ مَراحِلٍ ما بَيْنَ بِرْكَتِها وَبَيْنَ عَريشِها
حَتّى حَفِظْتَ عَلى العِبادِ بِلادَها مِنْ رُومِها الأَقْصى إِلى أُحْبوشِها

## الخصائص الفنيّة لشعر الجهاد

تتلخص الخصائص الفنية لشعر الجهاد في العصرين: الأيوبي والمملوكي بأنه:

١- يتصف بالواقعية من خلال وصف أحداث المعارك وصفًا مباشرًا، مثل وصف شرف الدين الأنصاري معركة عين جالوت.

٢- يكثر من استخدام الفنون البديعية كالجناس (وَلِلدُّموعِ عَلى الآثارِ آثارُ)، والطباق

فَيا للهِ كَمْ سَرَّتْ قُلوبًا وَيا للهِ كَمْ أَبْكَتْ عُيونا

٣- يتميز بحرارة العاطفة وتدفق المشاعر، ولا سيما عند الحديث عن سقوط المدن وتصوير المآسي، والفرح بالانتصارات.

---

(١) دحوضه: بطلان الكفر.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الأوسي، المعروف بابن قاضي حماة، شاعر وفقيه، ولد في دمشق، وسكن حماة، (ت ٦٦٢هـ).

(٣) تزبن الحرب الناس يعني تصدمهم فهي زبون. الجريش: ما طحن من الحَب طحنًا خشنًا.

## الأسئلة

١ – اذكر ثلاثة من الشعراء الذين انعكست أصداء الغزو الصليبي في أشعارهم.

٢ – كان لمعركة حطين وتحرير بيت المقدس صدى كبير في الشعر العربي آنذاك، وضح ذلك مستشهدًا بنصوص شعرية مناسبة.

٣– استنتج المضمون الذي يمثله كل مما يأتي:

أ – قال العماد الأصفهاني:

وَلِلنّاسِ بِالمَلِكِ النّاصِرِ الصَّـــــلاحِ صَلاحٌ وَنَصْرٌ وَخَيْـــــرُ
نُهوضًا إِلى القُدْسِ يَشْفي الغَليلَ     بِفَتْحِ الفُتوحِ وَماذا عَسيرُ

ب– قال ابن منير الطرابلسي:

فَتْحٌ أَعادَ عَلى الإِسْلامِ بَهْجَتَـهُ     فَافْتَرَّ مَبْسِمُهُ وَاهْتَزَّ عِطْفاهُ

٤– كان لمعركة عين جالوت صدى كبير في الشعر العربي زمن الغزو المغولي، وضح ذلك مستشهدًا بنصوص شعرية مناسبة.

٥– اقرأ الأبيات الآتية لبهاء الدين البهائي، ثمّ أجبْ عن الأسئلة التي تليها:

لَهْفي عَلى تِلْكَ البُروجِ وَحُسْنِها     حَفَّتْ بِهِنَّ طَوارِقُ الحَدَثانِ
لَهْفي عَلى وادي دِمَشْقَ وَلُطْفِـهِ     وَتَبَـدُّلِ الغِـزْلانِ بِالثّيــرانِ
وَشَكا الحَريقَ فُؤادُها لَـمّـا رَأَتْ     نورَ المَنازِلِ أُبْدِلَتْ بِدُخـانِ

أ – بيّن المضمون الذي تناولته الأبيات السابقة.

ب– من الخصائص الفنية لشعر الجهاد في العصرين: الأيوبي والمملوكي حرارة العاطفة، وضح ذلك من خلال الأبيات السابقة.

٦– بين دور الأدب في تسجيل الأحداث ومواكبتها في العصرين: الأيوبي والمملوكي.

٧– وازن بين رثاء المدن في العصر الأندلسي وفي العصرين: الأيوبي والمملوكي.

## ثانيًا: المدائح النبوية

### ١– مفهوم المديح النبوي

فن شعري يُعنى بمدح النبي محمد ﷺ وتعداد صفاته الخُلُقية والخَلْقية، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارته، وزيارة الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، والإشادة بغزواته.

وقد سمي هذا الفن مديحًا لا رثاءً؛ لأن الرسول ﷺ حيٌّ في نفوس المسلمين برسالته وسنته ومبادئه التي بُعث من أجلها.

### ٢– نشأته

نشأ المديح النبوي في صدر الإسلام، واستمر النظم فيه في العصرين: الأموي والعباسي. وقد تطوّر هذا الشعر وأصبح يشكل ظاهرة تسترعي الانتباه في العصرين: الأيوبي والمملوكي، ويعود ذلك إلى ما تعاقب على المسلمين من ويلات ومصائب وأحزان، وقد لاقى كثيرون من شدة وطأتها القهر والألم، وجعلتهم يعيشون في تعب ونكد، ولا سيّما بعد الهجمات المتوالية: الصليبية الجائرة من الغرب، والتترية الغادرة من الشرق، فما كان منهم إلا التوجه إلى الله – تعالى– والتضرع إليه كي ينجيهم من الكرب الذي وقع عليهم والضيم الذي لحق بهم، وتوسلوا إلى رسوله الكريم محمد ﷺ أن يكون شفيعًا لهم عند الله لكي ينجيهم من النوائب التي كادت تقضي على وجودهم.

كثر النظم في المديح النبوي، وأقبل الناس عليه بشغف ولهفة، يجدون فيه فرحتهم وسعادتهم وراحتهم النفسية، ويتدارسونه وينشدونه في مجالسهم ومحافلهم وأماكن عبادتهم.

### ٣– من أشهر شعرائه

نظم عدد من الشعراء دواوين خاصة قصروها على المديح النبوي، مثل: «معارج الأنوار في سيرة النبي المختار» للصَّرْصَري (ت ٦٥٦هـ)، و«بشرى اللبيب بذكرى الحبيب» لابن سيّد الناس اليعمري (ت٧٣٤هـ)، و«منتخب الهدية في المدائح النبوية» لابن نباتة المصري (ت٧٦٨هـ)، و«فرائد الأشعار في مدح النبي المختار» لابن العطار الدنيسري (ت٧٩٤هـ)، و«شفاء الكليم بمدح النبي الكريم» لابن عربشاه الدمشقي (ت٩٠١هـ).

ومن أشهر من يمثل هذه الظاهرة في تلك الفترة البوصيري[1]، وله جملة قصائد أشهرها (البردة)[2] المعروفة باسم (الكواكب الدُّرّية في مدح خير البرية) وتقع في مئة واثنين وستين بيتًا، ومطلعها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بِذي سَلَمٍ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جرى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ[3]

ثم يعرض البوصيري بغيته بمدح الرسول ﷺ فيتغنى بصفاته وسيادته وقيادته للعرب والعجم، وحاجة الناس إلى شفاعته، فيقول:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ ... ـنِ وَالفَريقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

هُوَ الحَبيبُ الَّذي تُرْجى شَفاعَتُهُ ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوالِ مُقْتَحَمِ

يَجُرُّ بَحْرَ خَميسٍ فَوْقَ سابِحَةٍ ... يَرْمي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطالِ مُلْتَطِمِ

ومَنْ تَكُنْ بِرَسولِ اللهِ نُصرَتُهُ ... إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ[4]

وقد بيّن الشاب الظريف[5] منزلة الرسول ﷺ الرفيعة، والتوسل إليه وطلب الشفاعة منه للنجاة من عذاب النار، فالآمال معقودة عليه، فقال:

ما كانَ يَرْضى لَكَ الرَّحمنُ مَنْزِلَةً ... يا أَشْرَفَ الخَلْقِ إِلّا أَشْرَفَ الرُّتَبِ

لي مِنْ ذُنوبِيَ ذَنْبٌ وافِرٌ فَعَسى ... شَفاعَةٌ مِنْكَ تُنْجيني مِنَ اللَّهَبِ

جَعَلْتُ حُبَّكَ لي ذُخْرًا وَمُعْتَمَدًا ... فَكانَ لي ناظِرًا مِنْ ناظِرِ النُّوَبِ

إِلَيْكَ وَجَّهْتُ آمالي فَلا حُجِبَتْ ... عَنْ بابِ جودِكَ إِنَّ المَوْتَ في الحُجُبِ

ووصف الشعراء معجزاته، لا سيّما حادثة الإسراء والمعراج وصفًا مفصلًا دقيقًا، يقول أبو زكريا يحيى بن يوسف الصَّرْصَري [6] في قصيدة تجاوز عدد أبياتها ثمانمئة وخمسين بيتًا:

سُبْحانَ ذي الجَبَروتِ وَالبُرهانِ ... وَالعِزِّ وَالمَلَكوتِ وَالسُّلْطانِ

---

(١) محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، ولد في بوصير بمصر، اشتهر بمدائحه النبوية، (ت٦٩٦هـ) .

(٢) البردة: ذكر مترجمو البوصيري أنه أنشأ قصيدة البردة لما أصيب بالفالج، وأنه رأى في منامه النبي ﷺ فأنشده إياها، وتوسل بها واستغاث، فألقى عليه النبي ﷺ بردته كما ألقاها على كعب بن زهير رضي الله عنه يقظة، فشفي البوصيري من مرضه.

(٣) ذي سلم: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) تجم: تسكت.

(٥) هو محمد بن سليمان التلمساني، ولد في القاهرة، لقب لرقته وطرافة شعره بالشاب الظريف؛ فغلب عليه هذا اللقب وعرف به، (ت ٦٨٨هـ).

(٦) الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصّرصري، صاحب "كتاب معارج الأنوار في سيرة النبي المختار"، (ت٦٥٦هـ) .

أَسْرى مِنَ البَيْتِ الحَرامِ بِهِ إلى      أَقْصى المَساجِدِ لَيْسَ بِالوَسْنانِ
فَعَلا البُراقَ وَكانَ أَشرَفَ مَرْكَبٍ      يَطْوي القِفارَ بِسُرْعَةِ الطَّيَرانِ

وذكروا غزواته وفضيلة جده عبد المطلب، وأشاروا إلى ذكره والثناء عليه في الكتب السماوية، يقول ابن الساعاتي (معارضًا قصيدة كَعب بن زهير) :

بَثَّتْ نُبُوَّتَهُ الأَخْبارُ إِذْ نَطَقَتْ      فَحَدَّثَتْ عَنْهُ تَوْراةٌ وَإِنْجيلُ
فَضيلَةٌ عُرِفَتْ مِنْ عَبْدِ مُطَّلِبٍ      وَالقَوْمُ صَرْعى كَعَصْفٍ وَهْوَ مَأْكولُ
رَدَّتْ أَعاديهِ في بَدْرٍ وَيَوْمَئِذٍ      جِيادُهُ القُبُّ وَالطَّيْرُ الأَبابيلُ(١)

### الخصائص الفنية لشعر المديح النبوي

بمدارسة النماذج الشعرية السابقة، نجد أن شعر المديح النبوي:

١- تبرز فيه العاطفة وتدفق المشاعر تجاه الرسول ﷺ عند الحديث عن شمائله ومعجزاته وطلب شفاعته.

٢- يتميز بوحدة الموضوع وطول القصيدة.

٣- تأثرت مضامينه بالقرآن الكريم، ومن ذلك الحديث عن حادثة الإسراء والمعراج، وذكر النبي ﷺ في الكتب السماوية، والطير الأبابيل، وبالحديث النبوي الشريف عند ذكر البراق في حادثة الإسراء.

٤- يشيع فيه فن المعارضات، مثال ذلك قصيدة ابن الساعاتي التي عارض فيها كعب بن زهير في قصيدته التي مطلعها:

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ      مُتَيَّمٌ إِثْرَها لَمْ يُفْدَ مَكْبولُ

(١) الجياد القُبّ: الضّوامر، مفردها: الأقبُّ .

## الأسئلة

١– علل تسمية شعر المدائح النبوية مدحًا وليس رثاءً.

٢– اذكر ثلاثة من الدواوين التي ألفت في المديح النبوي، ومؤلفيها.

٣– لِمَ ازدهر شعر المدائح النبوية في العصرين: الأيوبي والمملوكي؟

٤– اذكر موضوعين من موضوعات شعر المدائح، ومثّل عليهما ببعض الشواهد الشعرية.

٥– مثّل على خصيصة شيوع المعارضات الشعرية في شعر المديح النبوي.

٦– في رأيك، لم أكثر شعراء المدائح النبوية من معارضة قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ ؟

٧– استنتج الخصيصة الفنية لشعر المدائح النبوية في كلٍّ مما يأتي:

أ – هُوَ البَشيرُ النَّذيرُ العَدْلُ شاهِـدُهُ ... وَلِلشَّـهـادَةِ تَـجْـريـحٌ وَتَـعْــديلُ

ب– أَسْرى مِنَ البَيْتِ الحَـرامِ بِـهِ إِلى ... أَقْصى المَساجِدِ لَيْسَ بِالوَسْنانِ

٨– في رأيك:

أ – لِمَ تعدّ قصيدة البردة للبوصيري من أشهر قصائد المدائح النبوية؟

ب– لِمَ تمتاز قصائد المدائح النبوية بطولها؟

### النشاط

- وازن بين «البردة» للبوصيري و«نهج البردة» لأحمد شوقي، مبينًا بعض أوجه التشابه والاختلاف.

# قضايا من النثر في العصرين: الأيوبي والمملوكي

شهد العصران: الأيوبيّ والمملوكيّ ازدهارًا في فنون النثر المختلفة، فانتشرت إلى جانب الفنون النثريّة المعروفة كالرّسائل والخطابة، فنونٌ نثريّةٌ أخرى؛ مثل أدب الرّحلات، والتأليف الموسوعيّ. وفي ما يأتي تناولٌ لبعض الفنون النثرية التي انتشرت في هذين العصرين.

## أولًا: أدب الرحلات

يعد أدب الرحلات الذي انتشر في العصرين: الأيوبي والمملوكيّ من أبرز الفنون الأدبية النثرية وأمتعها وأقربها إلى القرّاء؛ لالتصاق هذا الفن بواقع النّاس وحياتهم، وامتزاجه بفنون أخرى كالقصص، والمذكرات، والتراث الشعبي، واليوميات.

وقد تولّى كتابة هذا النوع من الأدب رحّالةٌ متنوعون في ثقافاتهم وعلومهم، ممن استهوتهم المغامرة والسفر والترحال؛ ما أدّى إلى اختلاف اهتماماتهم في ما ينقلون من مشاهداتهم في البلاد التي جابوها؛ فبعضهم نقل عادات من تحدّث عنهم، وتقاليدهم، وثقافاتهم، ولغاتهم، وطرق عيشهم، ومعتقداتهم الفكرية والمذهبية، وبعضهم اعتنى بنقل جغرافية البلاد التي ارتحل إليها، وآثارها، ومُناخها، وتوزيع سكّانها وطبيعتهم، ومعالم حضارتها.

وبذلك فأدب الرّحلات ذو قيمة علمية كبيرة كونه وثائق تاريخية وجغرافية واجتماعية وثقافية يعتمد عليها لمعرفة أحوال البلاد المكانية والسكانية. ويعد ابن جبير وابن بطوطة من أشهر الرحّالة في العصرين: الأيوبي والمملوكي.

### ١- ابن جبير (ت ٦١٤هـ)

هو محمد بن أحمد من بني ضمرة من كنانة المضرية العدنانية. درس علوم الدين وشغف بها، وبرزت ميوله في علم الحساب والعلوم اللغويّة والأدبية، وأظهر مواهب شعرية ونثرية مكّنته من العمل كاتبًا.

دوّن ابن جبير خلال رحلته في القرن السادس الهجري مشاهداته وملاحظاته في يوميات سميت باسم «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار»، وصف فيها البيت الحرام والمسجد

النبوي، ودمشق، والعراق، وغيرها من البلدان والمدن، كما وصف الأسواق والأسوار والحصون والمشافي، والأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لساكني البلدان التي مرّ بها، ودرجة الاستقرار فيها، كما وصفت رحلاته.

يصف ابن جبير رحلته البحرية إلى صقلية، فيقول:

«وأصبحنا يوم الأحد المذكور والهول يزيد، والبحرُ قد هاج هائجه، وماج مائجه (١)، فرمى بموجٍ كالجبال يصدم المركبَ صَدَمات يتقلّب لها على عِظَمِهِ تقلُّب الغصن الرّطيب، وكان كالسّور علوًّا فيرتفع له الموج ارتفاعًا يرمي في وسطه بشآبيب (٢) كالوابل المنسكب. فلمّا جَنَّ الليلُ اشتدَّ تلاطمه، وصكَّت الآذانَ غماغمه (٣)، واستشرى عُصوفُ الريح. فحُطَّتِ الشُّرُعُ... ووقع اليأس من الدّنيا، وودعنا الحياة بسلام، وجاءنا الموج من كلّ مكان، وظننّا أنّا قد أُحيط بنا،... فاستسلمنا للقدر، وتجرعنا غُصص هذا الكَدر، وقلنا:

سَيَكونُ الَّذي قُضيْ     سَخِطَ العَبْدُ أَوْ رَضيْ»

### ٢- ابن بطّوطة (ت ٧٧٩ هـ)

هو محمد بن عبد الله الطنجي، لقب بأمير الرحالة المسلمين. خرج من طنجة سنة (٧٢٥هـ) فطاف قارتي: آسيا وأفريقيا وبعض بلدان قارة أوروبا. استغرقت رحلته ما يقارب الثلاثين عامًا.

دوّن أخبار رحلته في كتابه «تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» فوصف فيه البلدان التي زارها ومواقعها والمسافات بينها ومظاهر العمران فيها، وحكامها وعادات أهلها وألبستهم وألوانها وأشكالها وحيويتها ودلالتها، كما وصف الأطعمة وأنواعها وطريقة صناعتها.

وفي ما ذكر ابن بطّوطة عن جزيرة سيلان (٤) أنه:

---

(١) ماج مائجه: اضطرب ماؤه وارتفع.

(٢) شآبيب: مفرها شؤبوب وهي الدّفعة من المطر.

(٣) الغماغم: الأصوات غير المبيّنة .

(٤) جزيرة سيلان هو الاسم القديم لجمهورية سيريلانكا حاليًّا .

«يوجد الياقوت في جميع مواضعها، وهي متملَّكة، فيشتري الإنسان القطعة[1] منها، ويحفر عن الياقوت، فيجد أحجارًا بيضاء مشعبة، وهي التي يتكوّن الياقوت في أجوافها، فيعطيها الحكاكين، فيحكّونها حتّى تنفلق عن أحجار الياقوت، فمنه الأحمر ومنه الأصفر ومنه الأزرق.... وجميع النّساء بجزيرة سيلان لهنَّ القلائد من الياقوت الملوَّن، ويجعلنه في أيديهنّ وأرجلهنّ عوضًا من الأسوِرَةِ والخلاخيل... ولقد رأيت على جبهة الفيل الأبيض سبعة أحجار منه، كلُّ حجر أعظم من بيضة الدّجاج».

ووصف ابن بطوطة نهر النّيل فقال:

«ونيل مصر يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق واتّساع قطر وعظم منفعة. والمدن والقرى بضفتيه منتظمة، ليس في المعمور مثلها. ولا يعلم نهر يزرع عليه ما يزرع على النّيل. وليس في الأرض نهر يسمّى بحرًا غيره. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [2] فسمّاه يمًّا وهو البحر».

## الخصائص الفنيّة لأدب الرّحلات

من أهمّ الخصائص الفنيّة لأدب الرّحلات أنّه:

١- يقتبس من الآيات القرآنيّة أو الأحاديث النبويّة الشريفة أو الأشعار، مثل ما رود في نص ابن جبير: « وجاءنا الموج من كلّ مكان، وظننا أنّا قد أُحيط بنا».

٢- يعتني بالوصف وبذكر التفاصيل، ومثال ذلك وصف ابن بطوطة الياقوت في جزيرة سيلان، وفي وصف ابن جبير رحلته إلى صقلية عن طريق البحر.

٣- يميل إلى العبارات القصيرة المتناغمة ذات الإيقاع الموسيقيّ. ومثال ذلك: «فلمّا جَنَّ الليلُ اشتدّ تلاطمه، وصكَّت الآذانَ غماغمه، واستشرى عُصوفُ الريح».

---

(١) المقصود القطعة من الأرض .

(٢) سورة القصص، الآية (٧).

## الأسئلة

١- انسب الكتابين الآتيين إلى مؤلفيهما:

أ - تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

ب- تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار.

٢- علل ما يأتي:

أ - يعد أدب الرحلات واحدًا من أمتع الفنون النثرية.

ب- اختلاف اهتمامات الرحالة في رحلاتهم.

جـ- لأدب الرحلات قيمة علمية كبيرة.

٣- لِمَ لقّب ابن بطوطة أمير الرحالة المسلمين، في رأيك؟

٤- اقرأ النصين الآتيين ثمّ أجب عما يليهما:

مما جاء في وصف ابن جبير لدمشق:

«دمشق جنّة المَشرِقِ، ومطلعُ حُسنهِ المُشرِقِ، وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها (١)، قد تحلّت بأزاهير الرياحين، وتجلّت في حلل سندسية من البساتين... منها ربوةٌ ذاتُ قرارٍ ومَعينٍ وماءٍ سلسبيل، تنساب مذانبُهُ انسياب الأراقم بكلّ سبيل،... قد سَمَتْ أرضَها كثرةُ الماءِ حتّى اشتاقت الظّماءَ، فتكاد تناديك بها لاصِمُ الصِّلابِ (٢): ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾(٣)».

ويصف البغدادي (٤) المجاعة التي حلّت بمصر سنة (٥٩٧هـ)، فيقول:

«ودخلت سنةُ سبعٍ مفترسةً أسبابَ الحياة، وقد يئس النّاسُ من زيادة النِّيل، وارتفعت الأسعار، وأقحطت البلادُ، وأشعر أهلها البِلا (٥)،... وانضوى أهل السَّواد والرّيف إلى أمهات البلاد، وانجلى كثير منهم إلى الشّام والمغرب والحجاز

---

(١) اجتليناها: رأيناها .

(٢) لاصم الصّلاب: الصخور الصلبة .

(٣) سورة ص، الآية (٤٢).

(٤) عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، الملقب بموفق الدين، أحد الرحالة المسلمين، له كتاب " الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهَدة والحوادث المعاينة في مصر "، (ت ٦٢٩هـ).

(٥) أشعر أهلها البِلا: أصابتهم المصيبة ولازمتهم.

واليمن، وتفرَّقوا في البلاد،...ومُزِّقوا كلَّ مُمزَّق، ودخل إلى القاهرة ومصر منهم خلقٌ عظيمٌ،... ووقع المرض والمَوَتانُ، واشتدّ بالفقراء الجوعُ حتّى أكلوا الميتات والجِيَفَ».

أ – وازن بين النصين من حيث: التأثر بالقرآن الكريم، واللغة، والجناس والسجع.

ب– من خلال النماذج التي درست، لمن تفضل القراءة: لابن بطوطة أم لابن جبير أم للبغدادي؟ بيّن سبب ذلك.

**النشاط**

- عُد إلى الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) واكتب تقريرًا عن عبد اللطيف البغدادي وكتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في مصر»، ثمّ اعرض ذلك أمام زملائك.

## ثانيًا: فن الرسائل في العصرين: الأيوبي والمملوكي

ازدهر فن الرسائل في العصرين: الأيوبي والمملوكي ازدهارًا ملحوظًا، بسبب عوامل: سياسية، واجتماعية، وعلمية.

**من العوامل السياسية**

– كثرة دواوين الدّولة التي اقتضت الحاجة إلى كتّاب الرسائل لتسيير أمورها.

– حاجة الحياة السياسية الرسمية التي عاشها السلاطين والأمراء والجند من سلم وحرب إلى استخدام الرسائل لإصدار أوامر التعيين أو العزل أو توطيد العلاقات مع البلدان الأخرى وتحسين السياسة الخارجية...إلخ.

**من العوامل الاجتماعية**

– علوّ منزلة كُتّاب الرسائل عند السلاطين والملوك، حيث قاربت منزلتهم منزلة الوزراء وكبار القضاة.

– اتخاذ الرسائل وسيلة تواصل اجتماعي، فكانت تستخدم في التهنئة والمدح والتعزية والمواساة والشكر، وغير ذلك.

– ديوان الإنشاء [١] وما وضع من شروط على من يريد أن يتخذ الكتابة صنعة له، مع كثرة المكاتبات التي كانت تخرج منه أو تعود إليه من مبايعات وعهود، وغير ذلك.
– رغبة الكُتّاب في إظهار ثقافتهم وبراعتهم في الكتابة في فنون النثر المختلفة ومنها الرّسائل.

ومن أشهر كتّاب الرسائل في هذين العصرين: القاضي الفاضل، والعماد الأصفهاني[٢] صاحب كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر شعراء العصر»، ومحيي الدين بن عبد الظاهر، وعلاء الدين بن غانم. ونتناول في ما يأتي اثنين ممن يمثلون العصرين.

### ١– القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ)

هو أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني. أطلقت عليه ألقاب عدة منها: «محيي الدين» و«مجير الدين» و«القاضي الفاضل». درس العلوم الشرعيّة وديوان الحماسة، وتعلّم فنّ الكتابة، وعمل في ديوان الإنشاء زمن صلاح الدّين الأيوبيّ.
سار كتّاب الرسائل في عصره على طريقته في الكتابة بوصفه أحد أهم أعمدة كُتّاب هذا الفنّ؛ فكانت رسائله وطريقته في الكتابة نهج الهداية لكُتّاب العصرين: الأيوبي والمملوكي، ومحفزة لهم على الإبداع.
وفي ما يأتي نموذج لرسائله الديوانية التي كتبها في فتح بيت المقدس على لسان صلاح الدّين الأيوبي موجهة إلى الخليفة العباسيّ النّاصر لدين الله:
«...، ولمّا لم يبقَ إلا القدسُ، وقد اجتمع إليها كلُّ شريدٍ منهم وطريد، واعتصم بمنعتها كلُّ قريبٍ منهم وبعيد؛ ظنّوا أنّها من اللهِ مانعتُهم،... فلمّا نازلها الخادم [٣] رأى بلدًا كبلاد، وجمعًا كيوم التناد، وعزائمَ قد تألّبت على الموت فنزلت بعَرْصَتِهِ،... فزاول [٤] البلد من

---

(١) ديوان الإنشاء: أحد أهم مكوّنات الجهاز الإداري في الدولة، يعنى بتنظيم العلاقات الخارجية للدولة، كانت تحرّر فيه الكتب التي يرسلها السلطان إلى الملوك والأمراء.
(٢) أبو عبدالله بن أبي الفرج الأصفهاني، عمل في ديوان الإنشاء لصلاح الدين الأيوبي، كان ذكيًا وقّاد الخاطر، بليغ الكتابة، كثير القول، (ت٥٩٧هـ).
(٣) المقصود صلاح الدين الأيوبي.
(٤) زاول: باشر وقصد.

جانبٍ فإذا أوديةٌ عميقةٌ، ولُجَجٌ (١) وَعِرَةٌ غريقةٌ، وسورٌ قد انعطف عَطْفَ السِّوارِ، وأبْرِجَةٌ قد نزلت مكانَ الواسِطَةِ من عِقدِ الدّارِ، فعَدلَ إلى جهةٍ أخرى كان للمطامعِ عليها مُعَرَّجٌ(٢)، وللخيلِ فيها متولَّجٌ (٣)، فنزل عليها، وأحاط بها، وقَرُبَ منها، وضُرِبَت خيمتُه بحيث ينالُه السّلاحُ بأطرافِه، ويزاحمُه السّورُ بأكنافه (٤)، وقابلها، ثمّ قاتلها، ونزلها وبرز إليها ثمّ بارزها، وحاجزها ثمّ ناجزها (٥)، فضمّها ضمّةً ارتقب بعدها الفتحَ، وصدعَ أهلَها فإذا هم لا يصبرون على عبوديةِ الجِدِّ عن عِتْقِ الصَّفحِ، فراسلوه ببذلِ قطيعةٍ إلى مدّةٍ، وقصدوا نَظِرَةً من شِدّةٍ، وانتظارًا لنَجْدَةٍ، فعرفهم في لحنِ القولِ، وأجابهم بلسانِ الطَّولِ، وقدَّمَ المَنْجنيقاتِ التي تتولّى عقوبات الحصونِ عِصِيُّها وحِبالُها، وأوترَ لهم قِسِيّها التي تضرِبُ فلا تفارقها سهامُها، ولا يفارقُ سهامَها نصالُها، فصافَحَتِ السُّور فإذا سهمُها في ثنايا شرفاتها سواكٌ، وقدَّم النَّصرُ نَسْرًا من المَنْجَنيقِ يُخْلِدُ إخلادَه إلى الأرضِ، ويعلو عُلُوّه إلى السِّماك، فشَجَّ مَرادِعَ أَبْرُجِها (٦)، وأسمعَ صوتَ عجيجها، ورفع ستارَ عَجاجِها (٧)، فأخلى السُّورَ من السَّيّارةِ، والحربَ من النَّظّارة، فأمكن النَّقّابُ أن يسفرَ للحربِ النِّقابَ، وأن يُعيدَ الحجرَ إلى سيرته من التُّرابِ».

### ٢- محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ)

هو القاضي محيي الدين أبو الفضل، ولد في بيت علم ودين. درس التاريخ والسِّيَر والأدب، وبرع في الكتابة النثرية، وكثرت مؤلفاته، منها: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر»، و« تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور».

تولى ديوان الإنشاء في عهد الظّاهر بيبرس وقلاوون وابنه الأشرف خليل. ومن رسائله رسالته

---

(١) لجج: مفردها لُجّة، معظم البحر وتردد أمواجه.

(٢) معرَّج: مقصِد.

(٣) متولَّج: مدخل.

(٤) الكنف: الجانب.

(٥) حاجزها: طالبها بالامتناع عن المخاصمة، ناجزها: قاتلها.

(٦) مرادع أبرجها: الأبراج التي فشلت في توفير الحماية للمحتمين بها.

(٧) العجيج: الصوت المرتفع والصياح، العجاج: الغبار.

التي كتبها في فتح المظفر قطز للشقيف [١] سنة (٦٦٦هـ) يصف فيها قوّة جيش العدو بالبسالة لتأكيد قيمة النّصر الذي أحرزه المسلمون، يقول:

«وصاروا مع عدم ذكر الله بأفواههم وقلوبهم، يقاتلون قيامًا وقعودًا وعلى جُنوبِهم، فكمْ من شجاعٍ ألصقَ ظهرَه إلى ظهرِ صاحِبِهِ وحامى، وناضَلَ ورامى، وكم فيهم من شهمٍ ما سلَّم قوسه حتّى لم يبقَ في كِنانته سهمٌ، وذي سنٍّ [٢] طارحَ به فما طرحه حتّى تثلَّم، وذي سيف حادثه بالصِّقال [٣] فما جلى محادثةً حتّى تكلَّم، وأبانوا عن نفوسٍ في الحربِ أبيةٍ».

## الخصائص الفنية للرسائل

ظهرت في النصّين السابقين الخصائص الفنية الآتية للرسائل:

١– تتأثر بالقرآن الكريم، كما ورد في رسالة القاضي الفاضل: «فعرفهم في لحنِ القولِ»، وفي رسالة ابن عبد الظاهر: «يقاتلون قيامًا وقعودًا وعلى جُنوبِهم».

٢– تؤرخ الرسالة لأحداث العصر، فَتعدُّ سجلًّا تاريخيًّا، كما في رسالة القاضي الفاضل في فتح بيت المقدس.

٣– تكثر في الرسالتين المحسنات البديعية، كالجناس (فأمكن النَّقاب أن يسفر للحرب النّقاب)، والطباق (واعتصم بمنعتها كلُّ قريبٍ منهم وبعيد، يقاتلون قيامًا وقعودًا).

٤– تمتاز رسالة القاضي الفاضل بغرابة بعض الألفاظ مثل (السِّماك، مرادع، متولّج، وغيرها)، وأما ابن عبد الظّاهر فقد مال إلى استخدام الألفاظ السهلة في رسالته (فكمْ من شجاعٍ ألصقَ ظهرَه إلى ظهرِ صاحِبِهِ وحامى، وناضَلَ ورامى).

---

(١) الشقيف: حصن مرتفع في لبنان يُصعد إليه من قرية أرنون.

(٢) ذي سنّ: المقصود الرمح.

(٣) الصّقال: الصقل، من صقل الشيء إذا جلاه وأظهره ولمّعه.

## الأسئلة

١- وضّح العوامل العلمية التي أسهمت في ازدهار فن الرّسائل في العصرين: الأيوبي والمملوكي.

٢- لم عُدَّ القاضي الفاضل أهم أعمدة كتّاب الرسائل في العصرين: الأيوبي والمملوكي؟

٣- وازن بين الرسالتين الآتيتين من حيث الخصائص الفنية للرسالة في العصرين: الأيوبي والمملوكي:

وصف علاء الدّين بن غانم [(١)] في رسالة له إحدى القلاع:

«ذاتُ أوديةٍ ومحاجر [(٢)] لا تراها العيون لبعد مرماها إلا شَزْرًا، ولا ينظرُ ساكنها العدد الكثير إلا نَزْرًا، ولا يظنُّ ناظِرُها إلا أنّها طالعةٌ بين النُّجوم بما لها من الأبراج، ولها من الفرات خندقٌ يحفُّها كالبحر، إلا أنّ ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [(٣)]».

وردَّ الناصر قلاوون على محمود غازان الذي طلب منه الصلح برسالة منها:

«من سلَّ سيف البغي قتل به، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [(٤)]، فيرسَلُ إلينا من خواصّ دولتك رجل يكون عندكم ممن إذا قطع بأمر وقفتم عنده».

---

(١) علي بن محمد بن غانم الملقب بعلاء الدين، (ت ٧٣٧هـ).

(٢) محاجر: مفردها مَحجَر، وهو المكان في الجبل يقطع منه الحجارة.

(٣) سورة الفرقان، الآية (٥٣) .

(٤) سورة فاطر، الآية (٤٣).

## ثالثًا: الخطابة في العصرين: الأيوبي والمملوكي

يُعدُّ فنُّ الخطابة في العصرين: الأيوبي والمملوكي من أهمّ الفنون الأدبية؛ فقد أسهم في الدّفاع عن القيم الفاضلة، وإقناع الجماهير بآراء وأفكار سياسية. أسهمت بعض العوامل في تنشيط هذا الفنِّ وازدهاره، ووفرت للخطباء مخزونًا كبيرًا من المعاني والأفكار. ومن هذه العوامل:

١- نشاط حركة بناء المساجد والزوايا والرُّبُط (١).

٢- تقريب السلاطين للخطباء ورفع منزلتهم.

٣- توافر دواعي الخطابة ومحفزاتها، كالغزو الصليبي والغزو المغولي، والظروف السياسية والعسكرية التي عملت على ازدهار الخطابة ولا سيما الخطابة السياسية والدينية. ويعد ابن الزكي أشهر خطباء العصرين.

### محيي الدّين ابن الزّكي (ت ٥٩٨ هـ)

هو أبو المعالي محمد القرشي، الملقب بمحيي الدين، المعروف بابن زكي الدّين، فقيه خطيب أديب، حسن الإنشاء، كانت له منزلة رفيعة عند السلطان صلاح الدين الأيوبي.

شهد فتح بيت المقدس فكان أوّل من خطب بالمسجد الأقصى في الجمعة الأولى بعد تحريره، وتعدّ هذه الخطبة أنموذجًا للخُطب الدّينيّة. وفي ما يأتي بعض منها:

«أيها النّاس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى، والدَّرجةُ العليا؛ لما يسَّرهُ اللهُ على أيديكم من استرداد هذه الضّالة من الأمّة الضّالة، وردّها إلى مقرّها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبًا من مئة عامٍ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يُرفعَ ويذكرَ فيه اسمه،... فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمّد ﷺ، وقبلتكم التي كنتم تصلّون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقرُّ الأنبياء، ومَقصِد الأولياء، ومَدْفِنُ الرُّسل، ومَهبِط الوحي، ومنزِلٌ به ينزلُ الأمر والنّهي، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين، وهو المسجد الأقصى الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ بالملائكة المقرَّبين، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وروحه عيسى الذي كرَّمه برسالته

---

(١) ملاجئ الفقراء من الصوفية.

وشرَّفه بنبوَّته، ولم يزحزحه عن رُتبَةِ عبوديته، فقال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[(١)]».

## الخصائص الفنية لأسلوب ابن الزكي

من خلال دراسة الخطبة السّابقة يظهر أنّ الخطبة الدينية:

١- تبرز العاطفة الدينية فيها خاصة عند التمثل بالقرآن الكريم.

٢- تتأنق في اختيار الألفاظ الواضحة ذات المعاني السهلة.

٣- توظف الصور البيانية والمحسنات البديعية كالسجع والجناس ما يضفي على الخطبة جرسًا موسيقيًّا، ومثال السجع ما ورد في العبارات: «وهو مقرُّ الأنبياء، ومَقصِد الأولياء، ومَهبِط الوحي، ومنزِلٌ به ينزلُ الأمر والنّهي». أما الجناس فمثل (استردادِ هذه الضّالة من الأمّة الضّالة).

## الأسئلة

١- بين أهمية الخطابة في العصرين: الأيوبي والمملوكي.

٢- علّل: ازدهار الخطب السياسية والدينية في العصرين: الأيوبي والمملوكي.

٣- اقرأ النص الآتي من خطبة لابن منير الإسكندراني (ت ٦٨٣هـ)، ألقاها بعدما مَلَكَ التتار الشام سنة (٦٥٨هـ)، ثم استخرج منها ما يناسب من الخصائص الفنية للخطبة:

((الحمد لله الذي يرحم العيون إذا دمعت، والقلوب إذا خشعت،... الموجود إذا الأسباب انقطعت، المقصود إذا الأبواب امتنعت،... فسبحان من وسعت رحمته كل شيء، وحقٌّ لها إذا وسِعت، وسَعت إلى طاعته السماوات والأرض حين قال: ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾[(٢)] فأطاعت وسمعت...، أيّها الناس، خافوا الله تأمنوا في ضمان وعده الوفيّ، ولا تخافوا الخلق وإن كثروا؛ فإنَّ الخوف منهم شِركٌ خفِيّ)).

---

(١) سورة النساء، الآية (١٧٢).

(٢) سورة فصلت، الآية (١١).

## رابعًا: التأليف الموسوعي في العصرين: الأيوبي والمملوكي

الموسوعة كتاب يجمع معلومات شتّى من العلوم والمعارف في مختلف ميادين المعرفة، أو ميدان منها، مرتبة ترتيبًا هجائيًّا. وتجدر الإشارة إلى أنّ بداية التأليف الموسوعي ظهر في العصر العباسيّ في القرن الثالث الهجري فظهرت بعض المصنّفات ذات الاتّجاه الموسوعي مثل كتاب «الحيوان» للجاحظ، و«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، وغيرهما.

تضافرت مجموعة من العوامل كان لها تأثير في نشاط التأليف الموسوعي في هذين العصرين، منها:

١- الغزو الصليبي والغزو المغولي وما أحدثاه من تدمير ثقافي وفكري لمقدَّرات الأمة الإسلامية في العراق والشام، الأمر الذي ألهب غيرة علماء الأمة على حضارتها وتاريخها وتراثها، فحثت الخطى وألفت الموسوعات لتعويض ما خُسِر.

٢- ديوان الإنشاء وما يتطلبه من موسوعية المعرفة لدى كل من يعمل فيه. فقد وجب على العاملين فيه أن يكونوا على دراية بالعلوم الشرعية والتاريخ والأدب... إلخ، ولا عجب أنّ أشهر كتاب الموسوعات كانوا رؤساء لهذا الدّيوان أو كُتّابًا فيه كالقلقشندي، وصلاح الدّين الصفدي، والمقريزي، وغيرهم.

٣- انتشار المكتبات الضخمة التي أُوقِفت لخدمة طلبة العلم وحوت نفائس الكتب والمخطوطات؛ الأمر الذي أتاح المجال لتنوّع المعارف وكثرتها، ومن ثمّ التأليف الموسوعي.

٤- استقطاب مصر والشّام للعلماء المهاجرين من أقطار أخرى كالأندلس والهند والعراق وغيرها. ومن أمثلتهم ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، وابن البيطار المالكي أشهر علماء العرب في الصيدلة...، وغيرهما. وقد كان لهذا التّمازج كبير الأثر في قيام نهضة علمية وأدبية متميزة في مصر والشام على وجه الخصوص.

**من أشهر الموسوعات في العصرين: الأيوبي والمملوكي**

كان للموسوعات محل واسع في هذين العصرين، وقد أكبَّ على هذا النّوع من الكتابة كثيرون. ونقف على بعض الموسوعات وقفة إيجاز تشير إلى تلك الكنوز الأدبية والعلمية والمعرفية التي انصرف الأدباء والعلماء إلى جمعها في كثير من الصبر والتتبّع والجهد:

أ - **الوافي بالوفيات** لصلاح الدين الصفدي ( ت ٧٦٤هـ): وهو من أوسع كتب التراجم، يقع في نحو ثلاثين مجلدًا.

ب- **غرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائص الفاضحة** لجمال الدّين الوطواط (ت ٧١٨هـ): وهو كتاب يقع في ستة عشر بابًا، يشتمل كلّ باب منها على ستّة فصول ضمَّنها مختارات من النثر والشّعر.

جـ- **نهاية الأرب في فنون الأدب** لشهاب الدّين النويريّ (ت ٧٣٣ هـ): وهي موسوعة تقع في ثلاثين مجلدًا قُسمت خمسة أقسام: السّماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية، والإنسان وما يتعلّق به، والحيوان الصامت، والنبات، والتاريخ من بدء الخليقة إلى عصره.

د - **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** لابن فضل الله العمريّ (ت ٧٤٩هـ): وهو كتاب يقع في أكثر من عشرين جزءًا حافلة بالفوائد القيمة والمعلومات الواسعة في التّراجم والتّاريخ والجغرافية.

هـ - **سِيَر أعلام النبلاء** للذَّهبيّ (ت ٧٤٨هـ): وهو كتاب ضخم يقع في ثلاثين مجلدًا في تراجم الرّجال والأعلام.

و - **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** لأبي العباس القلقشنديّ (ت ٨٢١هـ): وهو كتاب ضخم يحتوي مقدمة وعشر مقالات في فضل الكتابة وصفات الكتّاب، والتعريف بديوان الإنشاء وقوانينه، وتاريخ الكتابة وتطوراتها، وأنواع المناصب من رجال السّيف والقلم...وغير ذلك.

ز - **نسيم الصَّبا** لبدر الدّين الحلبيّ (ت ٧٧٩هـ): وهو كتاب يقع في نحو ثلاثين فصلًا في وصف الطبيعة والأخلاق والأدب وغيرها.

## الأسئلة

١– عرّف الموسوعة.

٢– بين دور كل مما يأتي في ازدهار الموسوعات في العصر المملوكي:

أ – ديوان الإنشاء.

ب– الغزو الصليبي والغزو المغولي.

جـ– هجرة العلماء.

٣– انسب الموسوعات الآتية إلى مؤلفيها:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، سير أعلام النبلاء، الوافي بالوفيات.

٤– صنّف الموسوعات التي درستها إلى:

أ – موسوعات التراجم.

ب– موسوعات الأدب.

جـ– موسوعات الطبيعة والجغرافيا والتاريخ.

**الأدب في العصر العثماني**

حكمت الدولة العثمانية البلاد العربية نحو أربعة قرون، شُغل فيها حكّامها بإرساء دعائم الأمن، وإحكام سيطرة الدولة، وقمع حركات التمرد، وفتح أوروبا الشرقية، وكان ذلك على حساب المرافق العامة والمشروعات الإصلاحية، وبدا واضحًا ضعف الأدب العربي في العصر العثماني، وثمة عوامل تقف وراء هذا الضعف من أبرزها:

١- عدم معرفة كثير من السلاطين العثمانيين باللغة العربية وعدم تذوقهم لأدبها، وإلغاؤهم ديوان الإنشاء؛ فتراجعت مكانة الشعراء والكتّاب لديهم، ما أدى إلى جمود قرائحهم وانحطاط أساليبهم.

٢- إغلاق المدارس في البلاد العربية، واستقطاب معظم العلماء إلى العاصمة الجديدة (الأستانة)؛ فأهمل التعليم وعمّ الجهل والأمّيّة معظم البلاد العربية، وشاعت الخرافات فيها على حساب الثقافة العربية الإسلامية.

٣- فرض اللغة التركية على البلاد العربية حين أصبحت هي اللغة الرسمية للدولة؛ فانتشرت اللهجة العامية، فذهب إبداع الناس في اللغة العربية وتراجع حضورها.

وكان من نتائج ذلك في الشعر فساد ملكة اللسان؛ فأصبح الشعر ركيك الأسلوب، وبسيط المعاني، وضعيف العاطفة والخيال، وفقير الأغراض يميل إلى التقليد، ويغلب عليه السطحية، وغدا الشعراء ينظمون في الألغاز والأحاجي ، كقول الشاعر حسين بن أحمد الزيّات:

ما اسْمُ شَيْءٍ مِنَ النَّباتِ إذا ما    زالَ حَرْفٌ مِنْهُ غَدا حَيوانا
وَبِتَصْحيفِ بَعْضِهِ فَهْوَ نارٌ    وَتُرَوّى مِنْ بَعْضِهِ الظَّمْآنا؟

ويمكن القول بأن هذا العصر –على طوله– كان أضعف عصور الأدب العربي؛ غلب فيه الجمود على العقول، والتقليد على الإبداع، والصنعة اللفظية على الملكة الأدبية، والابتذال على الأساليب الرفيعة.

وأما النثر فقد ضعف أيضًا وانحطّ أسلوبه؛ نتيجة العوامل السابقة، فأصبح ما يكتب من نثر فقير المعاني، وكثير اللحن، وركيك الأسلوب، ويدنو من العامية.

ولكن في أواخر القرن الثامن عشر شهدت مصر نهضة علمية على يد محمد علي باشا الذي أنشأ

المدارس وجلب العلماء للتدريس في مصر، وأسس مدرسة طبية، وأوفد عشرات الطلاب إلى أوروبا، وأنشأ مطبعة بولاق، وفي عهده صدرت جريدة الوقائع المصرية. وفي بلاد الشام تم أُنشئت بعض المدارس والجامعات التي أسهمت بصورة واضحة في نهوض التعليم، وأدى ذلك كما في مصرَ إلى تنشيط حركة الترجمة، والاطلاع على الآداب الأوروبية، وأسست الجمعيات، وأصدرت الصحف والمجلات. أسهم كل ذلك في النهضة الحديثة وظهور عدد من الرواد والأدباء الذين أرسوا دعائم تلك النهضة، مثل: رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وقاسم أمين وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم في مصر، وأحمد فارس الشدياق وعبد الرحمن الكواكبي وسليم البستاني ومارون النقاش وفرنسيس مرّاش وجبران خليل جبران في سورية ولبنان.



# الفصل الدراسيّ الثاني

# ٣ الوحدة الثالثة
# قضايا من الشعر في العصر الحديث

## النتاجات الخاصة بالوحدة

**يتوقع من الطالب بعد دراسة الوحدة أن:**

- يتبين اتجاهات الشعر العربي في العصر الحديث.
- يتعرف أشهر شعراء العصر الحديث، ويسمي دواوينهم، ويقرأ نماذج من أشعارهم.
- يفسر المفاهيم الآتية: عمود الشعر، المعارضات، الوحدة العضوية، شعر التفعيلة، الانزياح الدلالي، الشعر المسرحي.
- يوازن بين الاتجاهات الشعرية الحديثة، ويبين أوجه الشبه والاختلاف بينها.
- يقرأ نصوصًا من الاتجاهات الشعرية الحديثة، ويتعرف مضامينها، ويستنتج خصائصها الفنية.
- يفسر العلاقة بين الاتجاه الشعري والمؤثرات الاجتماعية والسياسية.
- يمتلك قيمًا واتجاهات إيجابيّة؛ مثل: تقدير الشعراء واحترامهم، والحرية والتحرر، والوحدة العربية، وكره الظلم.
- يوضح مظاهر الاتجاه الكلاسيكي، وخصائصه الفنية، ويسمّي أبرز رواده.
- يبين ملامح الشعر عند جماعة الديوان، ويسمّي أعلامها.
- يعدد موضوعات الشعر عند جماعة أبولو، وخصائصها الفنية، ويسمّي أبرز شعرائها.
- يذكر موضوعات شعر المهجر، ويسمّي أعلامه.
- يبين موضوعات شعر الثورة العربية الكبرى، ويسمّي عددًا من شعرائها.
- يستخلص مبادئ الثورة العربية الكبرى، ويمثل عليها من الشعر.
- يتعرف مفهوم شعر التفعيلة وقضاياه وسماته الفنية وروّاده.
- يتعرف موضوعات شعر المقاومة العربية، ويذكر بعض شعرائها، ويقرأ نماذج من أشعارهم.
- يتبين مرحلتي شعر المقاومة الفلسطينية، ويذكر أبرز شعرائها.
- يقدّر دور الشعر والشعراء في تصوير الواقع وتأريخ الأحداث.

## مقدمة حول الأدب في العصر الحديث

تأثر الوطن العربي في بداية العصر الحديث بعوامل سياسية وثقافية واجتماعية تركت آثارًا واضحة في الأدب، إذ خضعت معظم البلاد العربية للاستعمار؛ ما أدى إلى ظهور حركات التحرر الوطنية، مثل ثورة أحمد عرابي في مصر، والثورة العربية الكبرى التي كانت بداية النهضة العربية الحديثة، وشهدت الحركة الثقافية نشاطًا ملحوظًا نتيجة الانفتاح على الحضارة الغربية، وزيادة حركة الترجمة بصفتها وسيلة اتصال بين الشرق والغرب، وإرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، والتأثر بالآداب العالمية، وظهور الصحافة التي كانت متنفسًا لكثير من الأدباء والمفكرين في مصر والبلاد العربية الأخرى.

## قضايا من الشعر في العصر الحديث

نقف في هذا السياق على أبرز القضايا في حركة الشعر العربي الحديث وهي: من اتجاهات الشعر في العصر الحديث (الاتجاه الكلاسيكي (مدرسة الإحياء والنهضة)، والاتجاه الرومانسي ممثلًا بروافده (جماعة الديوان، وجماعة أبولو، والشعر المهجري))، وشعر الثورة العربية الكبرى، وشعر التفعيلة، وشعر المقاومة.

### أولًا: من اتجاهات الشعر في العصر الحديث

#### ١- الاتجاه الكلاسيكي (مدرسة الإحياء والنهضة)

يطلق هذا الاسم على الحركة الشعرية التي ظهرت في أوائل العصر الحديث، إذ التزم شعراؤها النظم على نهج الشعر العربي في عصور ازدهاره، بالمحافظة على بنية القصيدة العربية واتخاذها مثلًا يُحتذى في أوزانها وقوافيها، ومتانة أسلوبها، وجزالة ألفاظها، وجمال بيانها.

ويمثل هذا الاتجاه جيلان: الجيل الأول، ومن شعرائه: محمود سامي البارودي الذي يعدّ رائد الاتجاه الكلاسيكي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم. والجيل الثاني، ومن أشهر شعرائه: معروف الرصافي، ومحمّد مَهدي الجواهريّ، وعمر أبو ريشة.

وقد تمثل إحياء الشعر العربي لدى هذا الاتجاه في مظاهر عدة، أبرزها:

أ – احتذاء نهج الشعراء القدامى في بناء القصيدة من حيث: قوة أسلوبها، وجمال معانيها، والتزام عمود الشعر العربي؛ أي وحدة الوزن والقافية والروي. يقول محمود سامي البارودي في رثاء زوجته، عندما جاءه نبأ وفاتها وهو في منفاه في جزيرة سيلان:

أَيَدَ المَنونِ قَدَحْـــــتِ أَيَّ زِنـادِ ... وَأَطَــرْتِ أَيَّةَ شُعْلَةٍ بِفُـــؤادي؟

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوي الأَسـى ... فـــي يَوْمِ كُلِّ مُصيبَةٍ وَحِــداد

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ العُيونُ كَأَنَّمـــا ... كَحَلَ البُكاءُ جُفـــونَها بِقَتـادِ(١)

تَاللهِ ما جَفَّتْ دُموعي بَعْدَمـــا ... ذَهَبَ الرَّدى بِكِ يا بْنَةَ الأَمْجــادِ

لا تَحْسَبيني مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الهَوى ... هَيْهاتَ مـــا تَرْكُ الْوَفاءِ بِعــادي

قَدْ كِدْتُ أَقْضي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ ... مُتَوَقِّعًا لُقْياكِ يَــوْمَ مَعـادي

فَعَلَيْكِ مِـنْ قَلْبي التَّحِيَّةُ كُلَّما ... ناحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلــى الأَعْــوادِ(٢)

لَوْ كانَ هذا الدَّهْـــرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً ... بِالنَّفْسِ عَنْكِ لَكُنْتُ أَوَّلَ فـادِ

أَوْ كانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِـــنْ فاتِكٍ ... لَفَعَلْتُ فِعْلَ الحارِثِ بْـــنِ عُبادِ(٣)

ب– انتشار شعر المعارضات الذي يعد إحياء حقيقيًّا لعيون الشعر العربيّ القديم. والمعارضات قصائد نسجها قائلوها على نمط قصائد سابقة مشهورة، تشترك معها في الوزن والقافية وموضوعها العام وحرف الرويّ وحركته.

يعدّ شوقي إمام المعارضات الشعرية في العصر الحديث، فقد عارض بائية أبي تمام، وسينية البحتري، ونونية ابن زيدون، ودالية الحصري، وهمزية البوصيري. يقول في قصيدة له مصورًا ألم الغربة والمنفى:

يـا نـائِحَ الطَّلْــحِ أَشْباهٌ عَوادينا ... نَشْجى لِـواديكَ أَم نَـأْسى لِواديـنا

وقد عارض بها نونية ابن زيدون التي مطلعها:

أَضْحى التَّنائي بَديلاً عَنْ تَدانينـــا ... وَنابَ عَـــنْ طيبِ لُقْيانا تَجافينـا

---

(١) القتاد: نبات شوكي.

(٢) المطوقة: الحمامة.

(٣) الحارث بن عباد: من سادات العصر الجاهلي وشعرائه وشجعانه، ومن ذوي الرأي في قومه، كان ممن اعتزل حرب البسوس بين بكر وتغلب، ولم يشارك فيها إلا بعد أن قُتِلَ ابنه بجير على يد المهلهل.

ومن شعر المعارضات قول البارودي:

يا رائِــــدَ البَرْقِ يَمِّمْ دارَةَ العَلَمِ     وَاحْدُ الغَمامَ إِلـى حَيٍّ بِذي سَلَمِ

معارضًا ميمية البوصيري المشهورة في مدح النبي ﷺ:

أَمِــــنْ تذَكُّرِ جيرانٍ بِذي سَلَمِ     مَزَجْتَ دَمْعًا جَرى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

جـ- التفاعل مع الأحداث السياسية والاجتماعية؛ ما أدى إلى ظهور أغراض شعرية جديدة مثل: الشعر الوطني، والدعوة إلى التعليم ومواكبة النهضة الحديثة. يقول شوقي مادحًا المعلّم وداعيًا إلى احترامه وتقديره، ومُشيدًا بدوره في بناء الحضارة، وغرس قيم الفضيلة وتعليم الناشئة، وتبدو النزعة الخطابية في هذا القول:

قُـمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجيلا     كادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكـونَ رَسولا

أَعَلِمتَ أَشْرفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذي     يَبْنـي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقولا

فَهُوَ الَّذي يَبْنـي الطِّباعَ قَويمَةً     وَهُوَ الَّذي يَبْني النُّفوسَ عُدولا

وَإِذا المُعَلِّمُ لَـمْ يَكُنْ عَدْلاً مَشى     روحُ العَدالةِ في الشَّبابِ ضَئيلا

وَإِذا أُصيبَ القَوْمُ فـي أَخْلاقِهِمْ     فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَويلا

د - تطويع الشعر العربي لفن المسرح على يد أحمد شوقي الذي نظم كثيرًا من المسرحيات الشعرية منها: مصرع كليوباترا، ومجنون ليلى، وعنترة. كما طُوّع الشعر العربي للقصص التاريخي الملحمي؛ فكتب أحمد محرم «الإلياذة الإسلامية» التي تحدث فيها عن سيرة النبي ﷺ، فنظمها في ثلاثة آلاف بيت صوّر فيها حياة النبي الكريم ﷺ منذ ولادته حتى وفاته، ملتزمًا التسلسل الزمني في عرض الأحداث. ومما جاء في مسرحية مجنون ليلى:

قيس: (مخاطبًا ليلى)

أَنْتِ أَجَّجْتِ في الحَشى     لاعِجَ الشَّوْقِ فاسْتَعَرَ(١)

ثُمَّ تَخْشَيْنَ جَمْـرَةً     تَأْكُلُ الجِلْدَ وَالشَّعَرَ

(تظهر على قيس بوادر الإغماء)

ليلى:

فِداكَ أَبي، قَيْسُ، ماذا دَهاكَ؟     تَكَلَّمْ، أَبِنْ قَيْسُ، ماذا تَجِدْ ؟

---

(١) لاعج الشوق: حرقة القلب من الحب. استعر: توقد واشتعل.

قيس:

أُحِسُّ بعَيْنَيَّ قَدْ غامَتا    وَساقَيَّ لا تَحْمِلانِ الجَسَدْ

ليلى:

يا لَأَبي لِلجارِ، قَيْسٌ صَريعُ النّارِ، مُلْقًى بِصَحْنِ الدّارِ

## الخصائص الفنية للاتجاه الكلاسيكي

من النماذج الشعرية السابقة يظهر أن الاتجاه الكلاسيكي:

١– يجاري الشعراء القدامى في تقاليد القصيدة العربية من حيث: وحدة الوزن والقافية والرّوي، وقوة المعاني واختيار الألفاظ من المعجم الشعري القديم (لاعج الشوق، نائح الطلح، مُطَوَّقة على الأعواد).

٢– يجدد في أغراضه الشعرية وموضوعاته، فظهر الشعر الوطني والقصصي والمسرحي.

٣– تغلب على أشعاره النبرة الخطابية، كما في قول شوقي:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجيلا    كادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكونَ رَسولا

## الأسئلة

١- وضح المقصود بكل من:

المعارضات الشعرية، عمود الشعر العربي، الإلياذة الإسلامية.

٢- بين مظاهر إحياء الشعر العربي القديم لدى مدرسة الإحياء والنهضة مع التمثيل.

٣- بين أوجه التشابه بين مطلع قصيدة محمود سامي البارودي:

سِوايَ بِتَحْنانِ الأَغاريدِ يَطْرَبُ      وَغَيْري بِاللَّذّاتِ يَلْهو وَيُعْجَبُ

ومطلع بائية الشّريف الرّضي:

لِغَيْرِ العُلا مِنّي القِلا وَالتَّجَنُّبُ      وَلَوْلا العُلا ما كُنْتُ في الحُبِّ أَرْغَبُ

٤- اقرأ النص الآتي، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

قال أحمد شوقي بمناسبة افتتاح الجامعة المصرية في مطلع القرن العشرين:

تاجَ البِلادِ، تَحِيَّةٌ وَسَلامُ      رَدَّتْك مِصْرُ، وَصَحَّتِ الأَحْلامُ
أَرَأَيْتَ رُكْنَ العِلْمِ كَيْفَ يُقامُ؟      أَرَأَيْتَ الاسْتِقْلالَ كَيْفَ يُرامُ؟
العِلْمُ في سُبُلِ الحَضارَةِ وَالعُلا      حادٍ لِكُلِّ جَماعَةٍ، وَزِمامُ
باني المَمالِكِ حينَ تَنْشُدُ بانِيًا      وَمَثابَةُ الأَوْطانِ حينَ تُضامُ
قامَتْ رُبوعُ العِلْمِ في الوادي، فَهَلْ      لِلعَبْقَرِيَّةِ وَالنُّبوغِ قِيامُ؟
فَهُما الحَياةُ، وَكُلُّ دورِ ثَقافَةٍ      أَوْ دورِ تَعْليمٍ هِيَ الأَجْسامُ

أ - ما الموضوع الذي تناوله أحمد شوقي؟

ب- مثل من النص السابق على الخصائص الفنية الآتية:

- اختيار الألفاظ من المعجم الشعري القديم
- النّبرة الخطابية

جـ- بيّن أثر العلم في الحياة، كما يرى الشاعر.

## ٢- الاتجاه الرومانسيّ

ظهر الاتجاه الرومانسي في الأدب العربي الحديث نتيجة تطورات سياسية واجتماعية وثقافية في العالم العربي، ونتيجة الانفتاح على الآداب الغربية بشكل مباشر أو عن طريق الترجمة. وتمثّل الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث في: جماعة الديوان، وجماعة أبولو، وشعر المهجر.

### أ - جماعة الديوان

هي حركة تجديدية في الشعر العربي الحديث ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين إثر صلات فكرية قامت بين أعلامها: عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري. وسميت بهذا الاسم نسبة إلى كتاب «الديوان في الأدب والنقد»، وهو كتاب نقديّ ألّفه العقاد والمازني ووضعا فيه مبادئ جماعتهم الأدبية، ورُؤاهم النقدية في الشعر.

تأثرت جماعة الديوان بالثقافة الأدبية الإنجليزية خاصّة، ولا سيّما روادها الذين تأثروا بالأدباء الإنجليز الرومانسيين مثل: «شيلي» (١) و«هازلت»(٢)، ودعوا إلى توخي الصدق الفني في الشعر؛ لأن الشعر لديهم تعبير صادق عن وجدان الشاعر وتجاربه العاطفية وتأملاته النفسية، لذا هاجموا شعر المناسبات الذي كان سائدًا آنذاك، واهتموا بذاتية الشاعر الفردية، وقدموا إلى الأدب العربي عشرات الدواوين الشعرية منها: «ضوء الفجر» لعبد الرحمن شكري، و«هدية الكروان» و« عابر سبيل» للعقاد، وديوان المازني.

ومن أبرز الملامح التي تناولها شعر جماعة الديوان:

١. التعبير عن النفس الإنسانية وما يتصل بها من تأملات فكرية ونظرات فلسفية ناشئة عن تجارب نفسية ذاتية يرصد فيها الشاعر انفعالاته وتأملاته وأفكاره، فأكثروا من الحديث عن حقائق الكون وأسرار الوجود، وعالم المجهول. يقول عبد الرحمن شكري في قصيدة بعنوان (إلى المجهول):

---

(١) بيرسي شيلي: شاعر إنجليزي رومانسي، من أبرز أعماله " انتصار الحياة"، (ت ١٨٢٢م).

(٢) وليم هازلت: شاعر إنجليزي، من أبرز أعماله "حديث المائدة"، (ت ١٨٣٠م).

يَحوطُني مِنْكَ بَحْـــرٌ لَسْتُ أَعْرِفُـهُ ... وَمَهْـمَهٌ لَسْـتُ أَدْري مـا أَقاصيـهِ(١)

أَقْضي حَياتي بِنَفْسٍ لَسْتُ أَعْرِفُهــا ... وَحَوْلِيَ الكَوْنُ لَمْ تُدْرَكْ مَجاليـهِ

لَيْسَ الطُّموحُ إِلى المَجْهول مِنْ سَفَهٍ ... وَلا السُّمُوُّ إِلى حَقٍّ بِمَكْــــرُوهِ

٢. التفاعل مع موضوعات الطبيعة الحسية، فالشاعر يفيض عليها من تأملاته وخواطره. فقد خاطب العقاد طائر الكروان المغرّد حين وجد نفسه فيه، فهو صوته الذي يشدو به، وضميره الذي يبوح بأسراره، وقلبه الصغير الذي يباري خفق الربيع بخفقاته، وعينه التي تمنح النعاس وتبخل عليه بالأحزان، إنه يتحد بطائر الكروان اتحادًا تامًّا، وتبدو النزعة الذاتية جليّة بتوظيف ضمير المتكلم، يقول:

أَنا في جَناحِكَ حَيثُ غاب مَعَ الدُّجى ... وَإِنِ اسْتَقَرَّ عَلـى الثَّرى جُثْمـاني

أَنا فــي لِسانِكَ حَيْثُ أَطْلَقَهُ الهَـوى ... مَرِحًا وَإِنْ غَلَبَ السُّـرورُ لِسـاني

أَنا فــي ضَميرِكَ حَيْثُ باحَ فَمـا أَرى ... سِرًّا بِغَيْبَتِـهِ ضَمــيرُ زَمانــي

أَنا مِنْكَ فــي القَلْبِ الصَّغيرِ مُساجِلٌ ... خَفْـــقَ الرَّبيعِ بِذلِكَ الخَفَقـانِ

أَنا مِنْكَ فــي العَيْنِ الَّتي تَهَبُ الكَرى ... وَتَضَنُّ بِالصَّحَــواتِ وَالأَشْجـانِ

٣. الحديث عن الشكوى والألم، والإحساس بالضيق والسأم؛ لذلك جاءت بعض أشعارهم تصويرًا لتلك المعاناة. يقول المازني في قصيدة طويلة:

قَدْ وَجَدْتُ السُّهْدَ أَهْـدى لِلأَسى ... وَوَجَـدْتُ النَّـوْمَ أَشْجـى لِلْحَشـى(٢)

شَـدَّ ما يَظْلِمُنا الدَّهْرُ، أَفــي ... يَقَـظَـةٍ دُنْيـا وَأُخْرى فـي الكَـرى؟(٣)

وَيْلُ هـذا القَلْـبِ مِنْ صَرْفِهِمـا ... لا الكَـرى أَمْنٌ وَلا السُّـهْـدُ حِمـى

الرَّدى إِنْ كانَ لا مَنْجى الـرَّدى ... إِنَّـهُ لِلـنَّـفْـسِ غَــوْثٌ وَنَـجـا

٤. التجديـد فـي الأوزان والقوافـي، ومن ذلك ظهـور الشعر المرسل الـذي يتقيد بالوزن ويتحـرر من القافية، متأثرين بالثقافـة الرومانسيّة التي تحطّم كل السدود التي تقف أمام الشاعـر في الصياغـة والأوزان والقوافي؛ كـي يتاح للشّاعر الحريـة الكاملة في التعبير

(١) مهمةٌ: صحراء واسعة.

(٢) السهد: الأرق وامتناع النوم.

(٣) الكرى: النوم.

عن تجربته الذاتية، وتصوير خوالجه النفسية. يقول عبد الرحمن شكري في قصيدته (كلمات العواطف):

خَليلَيْ وَالإِخاءُ إِلى جَفاءٍ　　إذا لَمْ يُغْذِهِ الشَّوْقُ الصَّحيحُ
يَقولونَ: الصِّحابُ ثِمارُ صِدْقٍ　　وَقَدْ نَبْلو المَرارَةَ في الثِّمارِ
شَكَوْتُ إِلى الزَّمانِ بَني إِخائي　　فَجاءَ بِكَ الزَّمانُ كَما أُريدُ

إذ يظهر هنا تنويع الشاعر في القافية والرويّ.

٥. المحافظة على الوحدة العضوية في القصيدة، حيث تكون القصيدة جسدًا واحدًا، فلا بد أن يلتحم كل بيت بما قبله وبما بعده، ويستلزم ذلك وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يترتب على ذلك من ترتيب الصور والأفكار، وبذلك تكون القصيدة كالكائن الحي، لكل عضو وظيفته، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة (آه من التراب) التي قالها العقاد في رثاء الأديبة مي زيادة، ومطلعها:

أَيْنَ في المَحْفِلِ «مَيٌّ» يا صِحابْ؟　　عَوَّدَتْنا ها هُنا فَصْلَ الخِطابْ

## الخصائص الفنية لشعر جماعة الديوان

من أهم خصائص شعر جماعة الديوان أنه:

١- ينحو إلى التجديد في المعاني الشعرية بالتركيز على الذات والهيام بالطبيعة ومعالجة الموضوعات النفسية والانصراف عن شعر المناسبات. ويبدو ذلك مثلًا في مخاطبة العقاد طائر الكروان المغرّد.

٢- يهتمّ بتحقيق الوحدة العضوية للقصيدة.

٣- يطغى على بعض مضامينه الجانب الفكري الفلسفي كما في قول عبد الرحمن شكري:

يَحوطُني مِنْكَ بَحْرٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ　　وَمَهْمَهٌ لَسْتُ أَدْري ما أَقاصيهِ
أَقْضي حَياتي بِنَفْسٍ لَسْتُ أَعْرِفُها　　وَحَوْلِيَ الكَوْنُ لَمْ تُدْرِكْ مَجاليهِ

## الأسئلة

١- سَمِّ الأعلام الثلاثة لجماعة الديوان.

٢- وضح المقصود بكل من: الشعر المرسل، والوحدة العضوية.

٣- بين بعض الموثّرات الثقافية في شعر جماعة الديوان.

٤- اذكر ثلاثة ملامح تناولها شعراء جماعة الديوان، ومثل عليها.

٥- علل ما يأتي:

أ - تسمية جماعة الديوان بهذا الاسم.

ب- ابتعاد جماعة الديوان عن شعر المناسبات والمجاملات.

جـ- دعوة جماعة الديوان إلى توخي الصدق الفني في الشعر.

د - ميل جماعة الديوان إلى التجديد في الشعر العربي.

هـ- يغلب على شعر جماعة الديوان العمق والغموض.

٦- وازن بين جماعة الديوان والاتجاه الكلاسيكيّ من حيث: اللغة، والمؤثرات الخارجية، والالتزام بعمود الشعر العربي.

٧- يقول عباس العقاد:

وَالعَقْلُ مِـــنْ نَسْلِ الحَياةِ وَإِنَّما ... قَدْ شابَ وَهْيَ صَغيرَةٌ تَتَزَيَّـنُ

وَالطِّفْلُ تَصْحَبُهُ الحَياةُ وَما لَـــهُ ... لُبٌّ يُصاحِبُ نَفْسَــهُ وَيُلقَّنُ

إِنَّ العَواطِـــفَ كَالزِّمــامِ يَقودُنا ... مِنْها دَليلٌ لا تَــراهُ الأَعْيُــنُ

أ - مثّل من النص على طغيان الجانب الفكري الفلسفي على المضمون.

ب- أَبْدِ رَأْيك في النّصّ من حيث الألفاظ والمعاني.

**النشاط**

● اقرأ النص الآتي من كتاب الديوان، واستخلص منه صفات الشاعر المبدع من وجهة نظر جماعة الديوان، ثم اقرأها على زملائك:

«اعلمْ أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعدِّدها ويحصي أشكالها وألوانها، وأن ليست مَزِيّة الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه، وإنما مزيته أن يقول ما هو، ويكشف لك عن لُبابه وصِلة الحياة به، وليس هَمّ الناس من القصيد أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع، وإنما همُّهم أن يتعاطفوا، ويودع أَحَسُّهم وأَطْبَعُهم في نفس إخوانه زبدةَ ما رآه وسمعه وخلاصة ما استطابه أو كَرِهَه، وما ابتُدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان، فإن الناس جميعًا يرون الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها، وإنما ابتُدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نَفْس إلى نفس، وبقوة الشعور وتَيَقُّظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه »[(١)].

(١) كتاب الديوان: ص ٤.

### ب- جماعة أبولو

هي إحدى المدارس الأدبية في الأدب العربي الحديث، ضمت بعض شعراء الاتجاه الرومانسيّ في مصر والعالم العربي، وسميت بذلك نسبة إلى إله الموسيقا والشعر عند الإغريق.

وثمة عوامل أسهمت في ظهورها وتأسيسها من أهمها: الجدل الذي احتدم بين الاتجاه المحافظ وجماعة الديوان، وتراجع الإنتاج الشعري لجماعة الديوان، وزيادة الانفتاح على الآداب الغربية، والتأثر بأدب المهجر.

ومن أشهر رواد جماعة أبولو وبعض دواوينهم: مؤسسها أحمد زكي أبو شادي «الشفق الباكي»، وإبراهيم ناجي «وراء الغمام»، وعلي محمود طه «الملاح التائه»، وأبو القاسم الشابي «أغاني الحياة»، ومحمود حسن إسماعيل «تائهون».

وقد بعث أصحاب هذه الجماعة جوًّا شعريًّا جديدًا يمزج بين تراث الشعر العربي القديم والأدب الأوروبي الحديث، فدعوا إلى الوحدة العضوية للقصيدة، وابتعدوا عن شعر المجاملات والمناسبات؛ فالشعر عندهم تجربة ذاتية تنبع من الأعماق، ودعوا إلى طَرْق موضوعات جديدة، وتناولوا الأشياء البسيطة المألوفة بروح إنسانية وتأمّل فكري، ولم يدخلوا في معارك جدلية مع شعراء الاتجاهات الشعرية الأخرى، ونظروا إليها نظرة احترام وتقدير، فاختاروا أحمد شوقي رئيسًا لجماعتهم تكريمًا له، واستكتبوا العقاد في مجلتهم.

من أبرز الموضوعات التي تناولها شعراء جماعة أبولو:

١. الانغماس في الطبيعة، والتعلق بجمالها، وتشخيصها ومناجاتها، فهي ملاذهم الآمن الذي بثوا إليه مشاعرهم، وجعلوها تشاركهم أحاسيسهم، وابتعدوا عن وصفها التقليدي، وأكثروا من التعبير عن معانيهم بالصورة الشعرية، يقول علي محمود طه:

أُفُقُ الأَرْضِ لَمْ يَزَلْ في حَواشيهِ ... صَدًى حائِرٌ بِأَلْحانِ طَيْرِ
وَعَلى شاطِئِ الغَديرِ وُرودٌ ... أَغْمَضَتْ عَيْنَها لِمَطْلَعِ فَجْرِ
وَسَرى الماءُ هادِئًا في حوافيـ ... ـهِ يُغَنّي ما بينَ شَوْكٍ وَصَخْرِ
وَكَأَنَّ النُّجومَ تَسْبَحُ فيه ... قُبُلاتٌ هَفَتْ بِحالِمِ ثَغْرِ
وَكَأَنَّ الوُجودَ بَحْرٌ مِنَ النّورِ ... عَلى أُفْقِهِ المَلائِكُ تَسْري

٢. الاهتمام بالحبّ، والحديث عن المرأة، وعلاقة العاشق بالمعشوق، والشعور بالألم والحرمان، والإحساس بالغربة إذا غاب الحبيب. يقول إبراهيم ناجي في قصيدة (الغريب) معبرًا عن تجربته الشعرية الذاتية التي تنبع من الأعماق:

يا قاسِيَ القَلْبِ كَيْــــفَ تَبْتَعِدُ؟     إنّي غَريبُ الفُؤادِ مُنْفَـــرِدُ
إنْ خانَني اليَوْمَ فيكَ قُلْـتُ غَدًا     وَأَيْنَ مِنّي وَمِنْ لُقاكَ غَـــدُ
مِلْءَ ضُلوعـــــي لَظًى وأَعْجَبُهُ     أَنّــي بِـهـذا الـلَّـهـيبِ أَبْتَرِدُ
يا تارِكي حَيْـــثُ كانَ مَجْلِسُنا     وحَيْـــثُ غَنّاكَ قَلْبِيَ الغَرِدُ
إنّـي غَـريـبٌ تـعـالَ يا سَـكَـنـي     فَلَيْسَ لي في زِحامِهِمْ أَحَـدُ

٣. الاستمتاع بحياة الريف وبساطتها وطيب أهلها، والحديث عن الرعاة ومظاهر الحياة في الريف، والدعوة إلى الانصراف عن حياة المدينة، فالشّابي في قصيدة (من أغاني الرعاة) يمزج بين عناصر اللون والصوت والرائحة والحركة، ويوظف الألفاظ الموحية، ويضفي عليها دلالات أخرى؛ فالضباب مستنير، ومعروف أنّ الضباب يكون كثيفًا قاتمًا يحجب الرؤية، لكن الشاعر أراد له دلالة أخرى تتناسب مع جو القصيدة، يقول:

فَـأَفـيـقـي يـا خِــرافـي     وهَــلُــمّـي يـا شِـيــاهْ
وَاتْـبَـعـيــنـي يـا شِياهـي     بَـيْـنَ أَسْـرابِ الـطُّـيـورْ
وَامْـلَـئـي الـوادي ثُـغـاءً     وَمِــراحًـــا وَحُــبــورْ
وَاسْمَعي هَمْسَ السَّـواقي     وانْـشُـقـي عِـطْـرَ الـزُّهـورْ
وَانْظُري الوادي يُغَشّـيْـ     ـهِ الضَّبـابُ المُسْتَنيـــرْ

٤. الحنين والشوق إلى الوطن والذكريات الجميلة، يقول أحمد زكي أبو شادي في قصيدة (المناجاة) في أثناء وجوده في الولايات المتحدة الأمريكية مشتاقًا إلى وطنه:

طَرَفَتْ، فَلَمّا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنـي     وَصَحَتْ صَحَوْتُ لِلَوْعَةِ البَيْنِ
خَمْسٌ مِنَ السَّنَواتِ قَدْ ذَهَبَتْ     بِـأَعَـزِّ مـا سَــمَّيْتُـهُ وَطَنـــي
مَـــنْ ذا يُحِسُّ شُعورَ مُغْتَرِبٍ     غَـيْــرُ الـرَّبيــعِ بِدَمْعِهِ الهَتِنِ (١)

---

(١) هَتَنَ الدمع يعني قطَرَ.

## الخصائص الفنية لشعر جماعة أبولو

باستعراض النماذج الشعرية السابقة نجد أن شعر جماعة أبولو:

١– يميل إلى التشخيص والتجسيم من خلال استخدام الصورة الشعرية، فعندما تقرأ مقطوعة شعرية تتخيلها مرسومة أمامك ، مثال ذلك قول علي محمود طه:

وَعَلــى شـاطِـئِ الـغَـديـرِ وُرودٌ        أَغْمَضَتْ عَيْنَها لِمَطْلَعِ فَجْـرِ
وَسَرى الماءُ هادِئًا في حَوافيـه        يُغَنّي ما بَيْنَ شَوْكٍ وَصَخْـرِ

٢– يستخدم الألفاظ الموحية، فتنتقل الألفاظ البسيطة المألوفة إلى معانٍ بعيدةٍ، مثل قول إبراهيم ناجي:

مِـلْءَ ضُـلوعـي لَظًـى وَأَعْـجَـبُـهُ        أَنّـي بِـهذا اللَّـهيـبِ أَبْتَرِدُ

ينطوي هذا البيت على مفارقة، فكيف يُبترَد باللهيب؟ لكن الشاعر وظف هذا اللفظ بما يتناسب مع جو القصيدة، وكذلك حين وظف الشابّي الضباب الذي يحجب الرؤية فجعله مستنيرًا في قوله:

وَانْظُري الوادي يُغَشّـيْـ        ـهِ الضَّبـابُ المُسْتَنيـرْ

٣– يهتم بالتجربة الشعرية، فالقصيدة تنبع من أعماق الشاعر حين يتأثر بشيء ويستجيب له استجابة انفعالية؛ كما في قصيدة (الغريب) لإبراهيم ناجي.

## الأسئلة

١- اذكر العوامل التي أسهمت في نشأة جماعة أبولو.

٢- كيف نظرت جماعة أبولو إلى الاتجاهات الشعرية الأخرى؟

٣- اذكر اثنين من الموضوعات الشعرية التي تناولتها جماعة أبولو، مع التمثيل.

٤- علل ما يأتي:

أ - تسمية جماعة أبولو بهذا الاسم.

ب- ابتعدت جماعة أبولو عن شعر المناسبات والمجاملات.

جـ- أكثرت من شعر مناجاة الطبيعة.

٥- استنتج أوجه الشبه والاختلاف بين جماعة الديوان وجماعة أبولو من حيث الموضوعات التي تناولها شعراء كل جماعة.

٦- اقرأ النص الآتي للشاعر أبي القاسم الشابيّ، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

سَوْفَ أَتْلو عَلى الطُّيورِ أَناشيـ ... ـدي وَأُفْضي لَها بِأَشْواقِ نَفْسي

فَهْي تَدْري مَعْنى الحَياةِ، وَتَدْري ... أَنَّ مَجْدَ النُّفوسِ يَقْظَةُ حِسِّ

ثُمَّ أَقْضي هُناك، في ظُلْمَةِ اللَّيْـ ... ـلِ وَأُلْقي إِلى الوُجودِ بِيَأْسي

ثُمَّ تَحْتَ الصَّنَوْبَر، النّاضِرِ، الحُلْـ ... ـوِ تَخُطُّ السُّيولُ حُفْرَةَ رَمْسي

وَتَظَلُّ الطُّيورُ تَلْغو عَلى قَبْري ... وَيَشْدو النَّسيمُ فَوْقي بِهَمْسِ

أ - ما الموضوع الذي تناولته القصيدة السابقة؟

ب- مثّل من القصيدة السابقة على الخصائص الفنية الآتية:

- التشخيص والتجسيم
- استخدام الألفاظ الموحية
- التعبير بالصورة الشعرية

## جـ- شعر المَهْجر

يطلق شعر المهجر على الشعر الذي نَظَمَه الشعراء العرب الذين هاجروا من بلاد الشام إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية في أواخر القرن التّاسع عشر، وكوّنوا روابط أدبية وأصدروا صحفًا ومجلات أدبيّة تهتم بشؤونهم.

وقد تأثر العالم العربي بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية أُشير إليها في فاتحة هذا العصر، كما شهدت بعض البلاد العربية فِتَنًا داخلية، وحروبًا أهلية أدت إلى هجرة بعض العائلات العربية إلى الأمريكيتين، وهناك نشطت الجاليات العربية في الحفاظ على هويتها ولغتها؛ فأسست روابط أدبية، وأصدرت مجلات ثقافية، ومثّل شعراء المهجر الرومانسية العربية خارج الوطن. وقد ظهر النشاط الأدبي لشعراء المهجر في رابطتين أدبيتين هما:

١. الرابطة القلمية في المهجر الشمالي: أُسِّست في نيويورك سنة (١٩٢٠م)، وترأسها جُبران خليل جُبران صاحب ديوان « المواكب». ومن روادها وبعض دواوينهم: إيليّا أبو ماضي «الجداول»، وميخائيل نُعَيمة « همس الجفون»، ونَسيب عَريضَة «الأرواح الحائرة» وغيرهم. وقد برزت لدى شعراء هذه الرابطة عناصر التجديد في الرؤية واللغة والإيقاع بروزًا واضحًا، الأمر الذي كان له صداه الواسع في تطور حركة الشعر العربي الحديث في المهجر والعالم العربي على حدٍّ سواء.

٢. العصبة الأندلسية في المهجر الجنوبي: أُسِّست في البرازيل سنة (١٩٣٢م)، وترأسها الشاعر القرويّ رَشيد خوري صاحب ديوان « لكل زهرة عبير»، ومن روادها: فوزي المعلوف، وإلياس فرحات وغيرهما.

وقد عاش شعراء المهجر أجواء الحرية والانفتاح في البلاد الجديدة، واختلطوا بالسكان الأصليين وتأثروا بالأدب الأمريكي، واكتووا بنار الغربة والبعد عن الأهل والأوطان؛ فجاء شعرهم سلسًا رقيقًا صادقًا، ولغتهم سهلة واضحة، ومالوا إلى التجديد في الشعر.

ومن أبرز موضوعات شعر المهجر:

١. **الحنين إلى الوطن**: عبّر شعراء المهجر عما يختلج في نفوسهم من حنين وشوق إلى أوطانهم، وحسرتهم على فراق أهلهم بمشاعر صادقة وألفاظ بسيطة رقيقة، يقول رشيد أيوب مشتاقًا إلى أهله:

وَإذا ما ذَكَرْتُ الأَهلَ فيه فَإِنَّني　　لدى ذِكْرِهم أَسْتَمْطِرُ الدَّمْعَ مُنصَبّا
أُعَلِّلُ نَفْسي إِنْ يَئِسْتُ بِعَودَةٍ　　وَلكِنَّها الأَيّامُ تَبًّا لَها تَبّا

٢. **التّفاؤل والأمل**: دعا شعراء المهجر إلى التفاؤل والنظر إلى الحياة بإيجابية، فالإنسان يُنغّص عيشه بيده، فإذا كانت نفسه جميلة يرى الحياة جميلة بهيجة، وإذا كانت نفسه مريضة يرى الحياة ثقيلة، يقول ميخائيل نعيمة داعيًا إلى التفاؤل والأمل بكل ما هو جميل:

إذا سَماؤكَ يَوْمًا تَحَجَّبَتْ بِالغُيومْ
أَغْمِضْ جُفونَكَ تُبْصِرْ خَلْفَ الغُيوم نُجومْ
وَالأَرْضُ حَوْلَكَ إمّا تَوَشَّحَتْ بِالثُّلوجْ
أَغْمِضْ جُفونَكَ تُبْصِرْ تَحْتَ الثُّلوجِ مُروجْ

٣. **التسامح والتعايش**: عاش العرب في المهجر حياة تقوم على التعايش، والاحترام المتبادل، والتسامح ونبذ التعصب، فنجدهم يشاركون بعضهم بعضًا في مناسباتهم، يقول إلياس فرحات مفتخرًا بالإسلام وممجدًا هذا الدين العظيم:

سَلامٌ عَلى الإِسْلامِ أَيّامَ مَجْدِهِ　　طَويلٌ عَريضٌ يَعْمُرُ الأَرْضَ وَالسَّما
نَما فَنَمَتْ في ظِلِّهِ خَيْرُ أُمَّةٍ　　أَعَدَّتْ لِنصْرِ الحَقِّ سَيْفًا وَمِرْقَما (١)
فَكانَتْ لَها الدُّنيا وَكان لَها العُلى　　وَكان بَنوها في الدَّياجيرِ أَنْجُما (٢)

ويقول رشيد سليم الخوري في ذكرى المولد النبويّ:

عيدُ البَرِيَّةِ عيدُ المَوْلِدِ النَّبَوي　　في المَشْرِقَيْنِ لَهُ وَالمَغْرِبَيْنِ دَوي
عيدُ النَّبيِّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ مَنْ طَلَعَتْ　　شَمْسُ الهِدايَةِ مِنْ قُرْآنِهِ العُلْوي
فَإِنْ ذَكَرْتُمْ رَسولَ اللهِ تَكْرِمَةً　　فَبَلِّغوهُ سَلامَ الشّاعِرِ القَرَوي

---

(١) المرقم: القلم.

(٢) الدياجير: الظلمات، مفردها الديجور.

٤. **النزعة الإنسانية:** رأى شعراء المهجر أن الشعر تعبير عن موقف إنساني، وله رسالة سامية ينقلها الشاعر إلى الناس بلغة سهلة واضحة، تدعو إلى القيم العليا: الحق والخير والجمال والحرية والعدل والحبّ، ويهتف نَسيب عَريضة في قصيدته (يا أخي) داعيًا إلى الحقّ والتعاون وإيقاد شعلة الأمل ومقابلة الإساءة بالمعروف:

فَلْنَسِرْ أَعْزَلِينِ إلّا مِنَ الحَقِّ سِلاحًا وَالفِكْرُ حادٍ وَقائِدْ
وَإذا اشْتَدَّتِ الذِّئابُ عُواءً فَلْنُقابِلْ عُواءَها بِالنَّشائِدْ
وَإذا احْلَوْلَكَ الظَّلامُ أَضَأْنا مِشْعَلَ القَلْبِ مِثْلَ نارِ المَواقِدْ

وقد كرهوا القيم السلبية كالظلم والأنانية والبخل والشرّ، ووظفوا الرمز للتعبير عن القيم السلبية كما في قصيدة (التينة الحمقاء) لإيليا أبي ماضي رمزًا للإنسان الأناني الذي يبخل بخيره على الناس، يقول:

وَظَلَّتِ التّينَةُ الحَمْقاءُ عارِيَةً كَأَنَّها وَتَدٌ في الأَرْضِ أَوْ حَجَرُ
وَلَمْ يُطِقْ صاحِبُ البُسْتانِ رُؤْيَتَها فَاجْتَثَّها فَهَوَتْ في النّارِ تَسْتَعِرُ
مَنْ لَيْسَ يَسْخو بِما تَسْخو الحَياةُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحْمَقٌ بِالحِرْصِ يَنْتَحِرُ

٥. **الاتجاه إلى الطبيعة:** اتّجه شعراء المهجر – شأن شعراء الرومانسية – إلى الطبيعة يتأملونها، ويندمجون فيها، ويضْفون عليها الحياة حتى جسّدوها وجعلوها تشاركهم همومهم، ومالوا إلى التشخيص والتجسيم والنظرة التأملية، يقول ميخائيل نُعيمة في قصيدة (النهر المتجمد) مخاطبًا نهرًا متجمدًا، ويرى فيه رمزًا لقلبه الذي جمدت أمانيه، ويلحظ تحرر الشاعر من القافية الموحدة:

يا نَهْرُ هَلْ نَضَبَتْ مِياهُكَ فَانْقَطَعْتَ عَنِ الخَريرْ؟
أَمْ قَدْ هَرِمْتَ وَخارَ عَزْمُكَ فَانْثَنَيْتَ عَنِ المَسيرْ؟
بِالأَمْسِ كُنْتَ مُرَنَّمًا بَيْنَ الحَدائِقِ وَالزُّهورْ
تَتْلو عَلى الدُّنْيا وَما فيها أَحاديثَ الدُّهورْ
بِالأَمْسِ كُنْتَ تَسيرُ لا تَخْشى المَوانِعَ في الطَّريقْ

وَاليَوْمَ قَدْ هَبَطَتْ عَلَيْكَ سَكينَةُ اللَّحْدِ العَميقْ
قَدْ كانَ لي يا نَهْرُ قَلْبٌ ضاحِكٌ مِثْلَ المُروجْ
حُرٌّ كَقَلْبِكَ فيهِ أَهْواءٌ وَآمالٌ تَموجْ
يا نَهْرُ! ذا قَلْبي أَراهُ كَما أَراكَ مُكَبَّلا
وَالفَرْقُ أَنَّكَ سَوْفَ تَنْشَطُ مِنْ عِقالِكَ، وَهْوَ لا

٦. **الدعوة إلى القومية العربية،** فهذه القومية تمجد اللسان العربي وتنادي بإقامة الدولة العربية التي تؤمن بالتراث العربي الخالد، والمصير المشترك. يقول الشاعر أبو الفضل الوليد داعيًا إلى الوحدة العربية:

فَأَعْظِمْ وَأَكْرِمْ بِاتِّحادٍ وَنِسْبَةٍ — إلى دَوْلَةٍ تَمْتَدُّ في الشَّرْقِ وَالغَرْبِ
وَما هِيَ إلّا أُمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ — دَمًا وَلِسانًا لَيْسَ تُفْصَلُ بِالتُّرْبِ

## الخصائص الفنية لشعر المهجر

من النماذج السابقة نجمل أهمّ الخصائص الفنية لشعر المهجر بما يأتي:

١– يوظف الرمز للتعبير عن بعض المعاني التأملية والإنسانية، فقد رأى إيليا أبو ماضي في التينة الحمقاء رمزًا للإنسان الأناني.

٢– يميل إلى التجديد في الموضوعات والتركيز على القيم الإنسانية كالتسامح والتعايش والتعاون، وتجلى ذلك في شعر إلياس فرحات ورشيد الخوري.

٣– ينظم على الأوزان القصيرة والمجزوءة، ويشيع فيه التحرر من القافية الموحدة، كما في قصيدة (النهر المتجمد) لميخائيل نُعيمة.

## الأسئلة

١– اذكر الرابطتين الأدبيتين اللتين أسسهما شعراء المهجر.

٢– استخلص من خلال ما درست العوامل التي أثرت في الشعراء المهجريين.

٣– انسب الدواوين الشعرية الآتية إلى شعرائها:

لكل زهرة عبير، همس الجفون، المواكب، الجداول.

٤– علل ما يأتي:

أ – من أبرز موضوعات شعر المهجر الحنين إلى الوطن.

ب– ساد التسامح والتعايش بين المهجريين.

جـ– عبّر شعراء المهجر عن القيم الإنسانية في شعرهم.

د – غلب على شعر المهجر الصدق والسلاسة والوضوح.

٥– وازن بين شعر المهجر وجماعة أبولو من حيث:

الاتجاه إلى الطبيعة، اللغة، التجديد في الشعر.

٦– استنتج الموضوع الذي يمثله كل بيت مما يأتي:

أ – يقول إيليا أبو ماضي:

يا أَخي لا تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنّي     ما أَنا فَحْمَةٌ وَلا أَنْتَ فَرْقَدْ

ب– يقول محبوب الخوري:

وَمُحَمَّدٌ بَطَلُ البَرِيَّةِ كُلِّها     هُوَ لِلأَعارِبِ أَجْمَعينَ إِمامُ

جـ– يقول نعمة الحاجّ:

تَذَكَّرْتُ هاتيكَ الرُّبوعَ وَأَهْلَها     وَيا حَبَّذا تِلْكَ الرُّبوعُ الزَّواهِيا

د – يقول إلياس فرحات:

إِنّا وَإِنْ تَكُنِ الشَّآمُ دِيارَنا     فَقُلوبُنا لِلعُرْبِ بِالإِجْمالِ

٧- اقرأ النص الآتي من قصيدة (ابتهالات) لميخائيل نُعيمة، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

وَاجْعَلِ اللّـهُمَّ قَلْبي واحَةً
تَسْقي القَريـــبْ
وَالغَريـــبْ

ماؤُهــــا الإيمــانُ، أَمّـا غَرْسُهـا    فَالرَّجا وَالــحُبُّ وَالصَّبْرُ الطَّويــلْ
جَوُّها الإِخْلاصُ، أَمّـا شَمْسُها    فَالـوَفا وَالصِّـدْقُ وَالحُلْمُ الجَميـلْ
فَـإِذا ما راحَ فِكْـــري عَـبَـثًا    في صَحاري الشَّكِّ يَسْتَجْلي البَقـاءْ
مَـرَّ مَنْـهوكًا بِقَلْبـــي فَـجَثا    تـائِبًـا يَـمْتَـصُّ مِـن قَلْبي الرَّجــاءْ

أ - بيّن الموضوع الذي تحدث عنه الشاعر.

ب- مثّل من النص السابق على ما يأتي:

١. التركيز على القيم الإنسانية
٢. التحرر من القافية الموحدة

جـ- بيّن رأيك في الصور الشعرية المضمنة في النص.

**النشاط**

- عد إلى كتاب «اللغة العربية» للصف الحادي عشر، واقرأ قصيدة (وطن النجوم ) للشاعر إيليا أبي ماضي، وبين موضوعها، وخصائصها الفنية، واعرضها على زملائك.

## ثانيًا: شعر الثورة العربية الكبرى

انطلقت الثورة العربية الكبرى عام (١٩١٦م) بقيادة الشريف الحسين بن علي استجابة طبيعيّة لظاهرة التحدّي التي فرضتها السيطرة العثمانيّة على الوطن العربي، وقد بلغ هذا التّحدي أَوجَه حين حاول العثمانيون تغريب العرب عن ثقافتهم وحضارتهم وتراثهم وتتريك لغتهم.

واكب الشّعر أحداث الثورة، ومن أبرز الشعراء الذين ظهروا في هذه المرحلة: فؤاد الخطيب، وجميل العظم، وإلياس فرحات، ومحمد العدناني، ومحمد مهدي الجواهري، وغيرهم. ومن موضوعات شعر الثورة العربية الكبرى ما يأتي:

### ١- الاعتزاز بالقوميّة العربيّة

فالشعوب العربية تجمعها عوامل مشتركة من لغة وثقافة وتاريخ، وقد دعا الشعراء إلى الاعتزاز بهذه القومية العربية، وفي ذلك يقول الشاعر جميل العظم:

لَقَدْ دالَتِ الأَيّام وَانْقَلَبَ الدَّهْرُ     فَقُلْ لِبَني جَنْكيزَ قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ (١)

وَقَدْ عادَ أَمْرُ المُسْلِمينَ لِأَهْلِهِ     وَهَلْ أَهْلُهُ إلاّ كِنانَةُ وَالنَّضْرُ

أولئِكَ قَوْمي بارَكَ اللهُ فيهِمُ     أُباهي الوَرى فَخْرًا بِهِمْ وَلِيَ الفَخْرُ

### ٢- الاستياء من سياسة العثمانيين، ووصْفُ ظلمهم

تناول الشعر مظاهر الظلم وأشكاله الذي تعرّض له العرب من العثمانيين، يقول الشاعر الفلسطيني محمد العدناني:

ظَنَّ العِدى أَنَّنا نَعْنو لِظُلْمِهِمُ     وَلا نُحِسُّ بِما لِلنِّيرِ مِنْ أَلَمِ (٢)

وَأَنَّ بَسْمَتَنا فيها رِضًى بِهِمُ     وَما تَحَلّوا بِهِ مِنْ رائِعِ الشِّيَمِ

وَما دَرَوا أَنَّ بَرْقَ المُزْنِ يَتْبَعُهُ     بَعْدَ ابْتِسامَتِهِ، قَصْفٌ مِنَ الرُّجُمِ(٣)

ويصف جميل الزهاوي إعدام جمال باشا السفاح أحرارَ العرب، فيقول:

---

(١) جنكيز خان مؤسس الدولة المغولية وإمبراطورها ، كان قائدًا عسكريًّا شديد البأس سفّاكًا للدماء، سيطر على قبائل المغول والترك والسلاجقة وغيرهم، (ت ٦٢٤ هـ).

(٢) نعنو: نخضع. النِّيرُ: الخشبةُ المعترضةُ فوق عنقي الثورين المقرونين لجر المحراث أو غيره، والمقصود هنا الاحتلال.

(٣) الرّجم: الشهب، وهي ما يظهر في السماء كأنها نجوم تتساقط.

عَلى كُلِّ عـودٍ صاحِبٌ وَخَليـلُ     وَفـي كُلِّ بَيْـتٍ رَنَّـةٌ وَعَـويـلُ
كَأَنَّ وُجوهَ القَـوْمِ فَوْقَ جُذوعِهِمْ     نُجـومُ سَمـاءٍ فـي الصَّبـاحِ أُفولُ

### ٣- مدح الشريف الحسين بن علي وأبنائه، وتأكيد أحقيّتهم في الملك

صدح العديد من الشعراء وهتفوا مهلّلين للثورة وقائدها بقصائد من عيون الشّعر القوميّ، وكان من أبرزهم الشيخ فؤاد الخطيب الذي ألقى قصيدته المشهورة (تحيّة النهضة) بين يَدَي الشريف الحسين بعد إعلان الثورة مباشرةً، فكانت سببًا في منحه لقب شاعر الثورة العربيّة الكبرى، وشاعر النهضة العربيّة، ومنها:

حَيِّ الشَّريفَ وَحَيِّ البَيْتَ وَالحَرَمـا     وَانْهَضْ فَمِثْلُكَ يَرْعى العَهْدَ وَالذِّمَما
يا صاحِبَ الـهِمَّـةِ الشَّمّاءِ أَنْت لَـها     إِنْ كانَ غَيْرُكَ يَرْضى الأَيْنَ وَالسَّأَما (١)
إِيهٍ بَنـي العَرَبِ الأَحْـرارِ إِنَّ لَكُـمْ     فَجْـرًا أَطَلَّ عَلـى الأَكْـوانِ مُبْتَسِما
يا بْنَ الـنَّبِيِّ وَأَنْتَ اليَـوْمَ وارِثُـهُمْ     قَـدْ عــادَ مُتَّصِـلًا ما كانَ مُنْفَصِما

ويمجّدُ الشاعر الجزائريّ عبد الله بافقيه الأمير عبد الله الأوّل بن الحسين، فيقول:

أَيـا مَـنْ لِلعَلاءِ سَعـى وَجَدّا     وَمَـنْ سـادَ الأَنامَ أَبًا وَجَـدّا
فَدَيْتُكَ فارِسَ الهَيْجا بِروحـي     وَمِثْلُكَ فـي البَرِيَّةِ مَنْ يُفَـدّا
إِلـى عَلْيـاكَ (عَبْدَ اللهِ) إِنّي     نَظَمْتُ مِنَ المَدائِحِ فيكَ عِقْدا
شَرُفْتُ بِمَدْحِكَ السّامي لِأَنّي     رَقِيتُ عُلًا وَنِلْـتُ بِذاكَ مَجْـدا

وفي مبايعة الشريف الحسين بن علي وتأكيد أحقيّته في الملك يقول الشاعر اللبناني مصطفى الغلاييني:

يا أَيُّها المَلِكُ المَيْمـونُ طالِعُـهُ     أَنْـتَ الإِمامُ بِحَقِّ الشَّرْعِ لا الغَلَبِ
لَكَ الخِلافَةُ، ما في أَمْرِها رَيْـبٌ     رَغْمَ العَدُوِّ وَرَغْمَ الأَحْمَقِ الشَّغِـبِ (٢)
أَبا المُلوكِ إِلَيْكَ العُـرْبُ ناظِـرَةٌ     بِطَرْفِ وَلْهانَ صَبِّ القَلْـبِ مُلْتَهِـبِ
فَامْدُدْ نُبايِعْكَ يا بْنَ الأَكْرَمين يَـدًا     تَفيضُ خَيْرًا عَلـى الإِسْلامِ وَالعَـرَبِ

---

(١) الأين: التعب. السأم: الملل والضجر.

(٢) الشغِب: الكثير الشغَب، يعني من يحاول تهييج الشر وإثارة الفتن والاضطراب.

### ٤- وصف تجاوب الأمّة العربية مع الثّورة

تجاوبت الأمة العربية مع الثورة من شتى الأقطار لما أمّلوه في الوحدة والتحرر، وهي ليست مقصورة على قطر دون آخر، فشارك فيها من كل حدب وصوب الكبير والصغير بعزيمة وبسالة كبيرتين في سبيل التحرر والقضاء على الطغيان، يقول الشّاعر فؤاد الخطيب واصفًا تحرك الجيوش العربية:

لِمَنِ المَضارِبُ في ظِلالِ الوادي ... رَيّا الرِّحابِ تَغَصُّ بِالوُرّادِ؟
اللهُ أَكْبَرُ تِلْكَ أُمَّةُ يَعْرُبٍ ... نَفَرَتْ مِنَ الأَغْوارِ وَالأَنْجادِ
طَوَتِ المَراحِلَ وَالأَسِنَّةُ شُرَّعٌ ... وَالبِيضُ مُتْلَعَةٌ مِنَ الأَغْمادِ(١)
وَمَشَتْ تَدُكُّ البَغْيَ، مِشْيَةَ واثِقٍ ... بِاللهِ، وَالتّاريخِ، وَالأَجْدادِ
عَرَبٌ تَطَوَّعَ كَهْلُهُمْ وَغُلامُهُمْ ... لِلمَوْتِ غَيْرَ مُسَخَّرٍ بِقِيادِ
وَثَبَتْ بِهِمْ في نَقْعِ كُلِّ كَريهَةٍ ... هِمَمُ الغُزاةِ وَعِفَّةُ الزُّهّادِ (٢)

### ٥- رثاء الشريف الحسين بن علي

كان لوفاة الشريف الحسين بن علي صدًى كبيرٌ في وجدان الشعراء في شتى بقاع العالم العربي لما له من مكانة دينية وقومية. يقول أحمد شوقي:

لَكَ في الأَرْضِ وَالسَّماءِ مَآتِمْ ... قامَ فيها أَبو المَلائِكِ هاشِمْ
يا أَبا العِلْيَةِ البَهاليلِ سَلْ ... آباءَكَ الزُّهْرَ هَلْ مِنَ المَوْتِ عاصِمْ؟
تِلْكَ بَغْدادُ في الدُّموعِ وَعَمّا ... نُ وَراءَ السَّوادِ وَالشّامُ واجِمْ
وَاشْتَرَكْنا فَمِصْرُ عَبْرى وَلُبْنا ... نُ سَكوبُ العُيونِ باكي الحَمائِمْ

### ٦- التغنّي بذكرى الثورة العربيّة الكبرى

تحتفل المملكة الأردنيّة الهاشمية سنويًّا بذكرى الثورة العربيّة الكبرى، وقد كان للعام (٢٠١٦م) سمة تميزه عن الأعوام الأخرى؛ إذ احتفلت المملكة بمرور مئة عام على انطلاقة

---

(١) الأسنة: الرماح. البيض متلعة: السيوف مخرجة من أغمادها.

(٢) نقع الكريهة: الغبار الذي يتصاعد حين اشتداد الحرب.

الثورة العربيّة الكبرى، وفي هذه المناسبة نظم الشاعر حيدر محمود قصيدة بعنوان (سيّد الشهداء)، ومنها:

وَالشَّريـفُ الحُسَيْنُ يُشْرِقُ شَمْسًا    فـي عُيـونِ الأَبْنـاءِ وَالأَحْـفـادِ
هِـيَ أُمُّ الرّاياتِ، أَعْطَتْ، وَتُعطي    كُـلَّ حُـرٍّ شَهـادَةَ الـمـيـلادِ
وَعَلى خَفْقِها اسْتَفاقَتْ شُعوبٌ    مِـنْ ظَـلامِ القُيـودِ، وَالأَصْفـادِ
جَمْرُها وَحْدَهُ الَّـذي يوقِدُ الجَمْـ    ـرَ وَكُلُّ النّيـرانِ مَحْضُ رَمـادِ

## الخصائص الفنيّة لشعر الثورة العربيّة الكبرى

ثمّة خصائص عامّة اتسم بها شعر الثورة العربيّة الكبرى، منها أنه:

١- يستخدم النبرة الخطابيّة والتعبير المباشر عن المعاني، مثل قول فؤاد الخطيب:

يا بْنَ النَّبيِّ وَأَنْتَ اليَوْمَ وارِثُهُمْ    قَدْ عادَ مُتَّصِلًا ما كانَ مُنْفَصِما

وقول الشاعر اللبناني مصطفى الغلاييني:

يا أَيُّها المَلِكُ المَيْمـونُ طالِعُهُ    أَنْتَ الإمامُ بِحَقِّ الشَّرْعِ لا الغَلَبِ

٢- يتصف بسموّ العاطفة وحرارتها من خلال الاعتزاز بالقومية العربية ووصف الظلم الذي وقع على الشعوب العربية والتطلع إلى التحرر.

٣- يلتزم عمود الشّعر العربيّ.

١- من خلال دراستك النماذج الشعريّة لشعر الثورة العربيّة الكبرى:

أ - ما الذي يُدلّلُ على أنّها ثورةُ كلّ العربِ؟

ب- استنتج المبادئ التي نادت بها الثورة العربية الكبرى.

٢- علل: لُقّب فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية الكبرى.

٣- في رأيك، ما سبب الحديث عن البعد الديني في شخصية الشريف الحسين بن علي.

٤- اقرأ النّصين الآتيين ثمّ أجب عمّا يليهما:

يقول الشاعر فؤاد الخطيب في قصيدته ( إلى جزيرة العرب):

المُلْكُ فيكَ وفي بَنيكَ وَإنَّهُ ... حَقٌّ مِنَ الآباءِ للأَحْفادِ

وَأمانَةُ التّاريخِ في أَعْناقِهِمْ ... مِنْ عَهْدِ "بابِلَ" يَوْمَ نَهْضَةِ "عادِ"

وَمِنَ الأَشاوِسِ مِنْ بَني قَحْطانَ أَوْ ... عَدْنانَ مِنْ مُتَحَضِّرٍ أَوْ بادِ

فَإِذا انْبَرَوا لِلمَجْدِ فَهْوَ سَبيلُهُمْ ... يَمْشونَ فيهِ عَلى هُدًى وَسَدادِ

ويقول الشاعر إلياس فرحات في قصيدته (تحرسك عين عناية الرّحمن ):

العَرْشُ عَرْشُكَ يا فَتى عَدْنانِ ... أَبْطَأْتَ أَمْ أَسْرَعْتَ في الإِعْلانِ

تُهْدي الشَّآمُ إِلى عُلاكَ أَريكَةً ... مَيْمونَةً مَحْروسَةَ الأَرْكانِ

فَرَشوا النَّفائِسَ في طَريقِكَ عِنْدَما ... عَلِموا بِيَوْمِ قُدومِكَ المِحْسانِ

وَلَو انَّهُمْ فَرَشوا القُلوبَ لَما وَفَوْا ... دَيْنًا تَسَجَّلَ بِالنَّقيعِ القاني(١)

أ - ما الموضوع الذي يمثله كل من النصين السابقين؟

ب- استخرج البيت الذي يحمل كل فكرة في ما يأتي:

١. الاعتراف بفضل الحسين بن علي وأنجاله على العرب.

٢. التذكير بالماضي المجيد.

جـ- استنتج ثلاثًا من الخصائص الفنية المشتركة بين النصين السابقين.

---

(١) سهلت همزة (أنهم) للضرورة الشعرية. المقصود بالنقيع القاني الدماء.

٥- يُعدّ شعر الثورة العربية الكبرى سجلًّا تاريخيًّا للأحداث السياسية، وضّح ذلك من خلال ما درست.

٦- لمَ يتميز شعر الثورة العربية الكبرى بالنبرة الخطابية؟

٧- استنتج الموضوع الذي يمثله كلّ بيت في ما يأتي:

أ - قال الشاعر الفلسطيني سعيد الكرمي:

وَعادَتْ قُرَيْشٌ في منَصَّةِ عِزِّها  تُقيمُ لِواءَ المَجْدِ فَلْيَفْرَحِ النَّصْرُ

ب- قال الشّاعر العراقي محمد الهاشمي:

بَنــي جَنْكيــزَ إِنَّ الظُّلْمَ عارٌ  وَأَمْــرٌ لا يُـقِـرُّ بِــهِ قَــرارُ

جـ- قال الشاعر فؤاد الخطيب:

سَلامٌ عَلى شَيْخِ الجَزيرَةِ كُلِّها  سَــلامٌ عَلى تاريخِهِ المُتَأَلِّقِ

**النشاط**

- عد إلى كتاب تاريخ الأردنّ للصف الحادي عشر، الفصل الخامس، واكتب تقريرًا عن الثورة العربية الكبرى، واعرضه على زملائك.

## ثالثًا: شعر التفعيلة (١)

يعدّ شعر التفعيلة ثورة حقيقية في عالم الشعر العربي وأهم حلقة في تطوره، فهو شعر موزون تحرر من وحدة القافية والبحر العروضي، والتزم نظام التفعيلة، إذ تتكرر التفعيلة الواحدة في القصيدة كلّها، ولا يتقيد بعدد معين من التفعيلات في كل سطر.

ويمكن القول إن البداية الحقيقية لشعر التفعيلة كانت عام (١٩٤٧م) حين نشرت نازك الملائكة قصيدة في شعر التفعيلة بعنوان (الكوليرا)، وفي العام نفسه نشر بدر شاكر السيّاب ديوانه «أزهار ذابلة» وفيه قصيدة من شعر التفعيلة بعنوان (هل كان حبًّا).

ومن أعلام شعر التفعيلة كذلك: عبد الوهاب البيّاتي، وصلاح عبد الصبور، وفدوى طوقان، ومحمود درويش، وأدونيس، ونزار قبّاني. ومن رواده في الأردنّ: حيدر محمود، وعبدالله رضوان، وحبيب الزيودي.

ومن أبرز قضايا شعر التفعيلة وموضوعاته ما يأتي:

### ١- الإيقاع الموسيقي

عرفت أن شعر التفعيلة يتحرر من نظام البحر العروضي والقافية الموحدة، ويلتزم نظام التفعيلة التي تتكرر في السطر الشعري حسب التدفق الشعوري للشاعر التي تتطلب الإطالة تارة، والقصر تارة أخرى. ومن أدوات الشاعر لتحقيق الإيقاع الموسيقي: التكرار بأنواعه، مثل تكرار الأحرف أو الكلمات أو العبارات أو الأسطر، واختيار الألفاظ الرشيقة المتناغمة. ففي المقطع الآتي من قصيدة ( أغنية للأرض ) للشاعر حيدر محمود نجد أن تكرار الأحرف والكلمات قد أضفى على القصيدة إيقاعًا موسيقيًّا غنائيًّا، يقول:

يا بِلادي
مِثْلَما يَكْبَرُ فيكِ الشَّجَرُ الطَّيِّبُ
نَكْبَرْ
فَازْرَعينا فَوْقَ أَهْدابِكِ
زَيْتونًا وَزَعْتَرْ

(١) ويسمى أيضًا الشعر الحر، والشعر الجديد، وشعر الحداثة، والشعر المعاصر.

وَاحْمِلينا أَمَلًا، مِثْلَ صَباحِ العيدِ، أَخْضَرْ
وَاكْتُبي أَسْماءَنا
في دَفْتَرِ الحُبِّ: نَشامى
يَعْشَقونَ " الوَرْدَ "، لكِنْ
يَعْشَقونَ "الأَرْضَ" أَكْثَرْ
قَدْ رَسَمْناكِ عَلى الدُّفْلى
وَقاماتِ السَّنابِلْ
غابَةً لِلأَعْيُنِ السّودِ
وَحَقْلًا مِنْ جَدائِلْ

**٢- الصورة الشعرية**

ترتبط الصّورة الشعرية ارتباطًا وثيقًا بالتّجربة الشّعرية، وهي طريقة للتّعبير عن قضايا الشاعر في صورة فنّية تتوافق وحالاته النّفسية، فقد تخلص الشاعر في شعر التفعيلة من القافية الموحَّدة الّتي تقيّد أحيانًا صُوَره ومشاعره، وأطلق العنان للصّورة الشّعرية، فجاءت عميقة مكثّفة، وخرجت من مجرد العلاقة بين المشبّه والمشبّه به إلى نوع من المَشاهد أو اللّقطات الموحية المتتالية تنقل لنا صورًا متلاحقة مرئية ومسموعة، تقول نازك الملائكة في قصيدة (النهر العاشق):

أَيْنَ نَمْضي؟ إِنَّهُ يَعْدو إِلَيْنا
راكِضًا عَبْرَ حُقولِ القَمْحِ لا يَلْوي خُطاهُ
باسِطًا، في لَمْعَةِ الفَجْرِ، ذِراعَيْهِ إِلَيْنا
طافِرًا، كَالرّيحِ، نَشْوانَ يداهُ(١)
سَوْف تَلْقانا وَتَطْوي رُعْبَنا أَنّى مَشَيْنا

---

(١) طافرًا: واثبًا.

### ٣- الرمز والأسطورة

يلحظ أن شعر التفعيلة كثيرًا ما يوظف الرمز للتلميح بالمحتوى عوضًا عن التصريح، فالمطر رمز الخير، والفجر رمز الحرية، ومن الطبيعي أن تظل هذه الرموز مفتوحة على آفاق واسعة قادرة على توليد المعاني والإيحاءات المتجددة، كما يوظف الأسطورة وهذا يزيد المعنى عمقًا، ويرتقي بالمستوى الفني للقصيدة.

يوظف الشاعر العراقي يحيى السماوي (النخل ) رمزًا للشموخ والقوة والثبات حين عبّر عن رفض العراقي الاحتلال وتنكيله بالناس، يقول:

هُمْ يَقْتُلونَ النَّخْلَ
إنَّ النَّخْلَ مُتَّهَمٌ بِرَفْضِ الانْحِناءِ
وَبِالتَّشَبُّثِ بِالجُذورِ
وَبِاخْضِرارِ السَّعْفِ

ويوظف الشاعر وليد سيف أسطورة ( الغولة) في قصيدة له مشيرًا إلى ما تعوّده بعضهم من تخويف الأطفال بالغولة، ولكن النتيجة جميلة إذ يُسبِل الطفل عيونه في حضن الأم ويغفو، يريد بذلك ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من مظاهر التخويف والتهديد، ومع ذلك يبقى هذا الشعب متسلّحًا بالأمل والنصر على العدو الصهيوني، يقول:

وَيَرْقُدُ الصَّغيرُ فَوْقَ حِجْرِها
"ويَا حَبيبُ نَمْ"
تُخيفُهُ بِغولَةٍ مَسْلوخَةِ القَدَمْ
وَرُبَّما تُغَرْغِرُ اللَّهاةُ في نَغَمْ
أُرجوحَةً دَفِيَّةً حَنونْ
فيُسْبِلُ العُيونْ

### ٤ - الانزياح الدلالي

وهو العدول باللغة عن المعنى المعهود، والخروج عن المعنى المألوف، وتوظيف الألفاظ في غير ما وُضِعَت له، وهذا يميز لغة الشعر، ويعطي اللفظ دلالة مَجازية، ويزيد شعر التفعيلة

غموضًا، ويجد القارئ صعوبة في فهم مراد الشاعر، يقول بدر شاكر السياب في قصيدة ( أنشودة المطر ) عند الحديث عن الحاجة إلى المطر، فيغدو بمثابة الواهب والدافع للعمل:

أكادُ أَسْمَعُ النَّخيلَ يَشْرَبُ المَطَرْ
وَأَسْمَعُ القُرى تَئِنُّ ، وَالمُهاجِرين
يُصارِعونَ بِالمَجاذيفِ وَبِالقُلوع،
عَواصِفَ الخَليجِ، وَالرُّعودَ، مُنْشِدين:
مَطَرْ...
مَطَرْ...
مَطَرْ...

**٥ – التناصّ**

يكثر في شعر التفعيلة التناصّ، ويُقصَد به وجود تداخل بين نصٍّ وآخر، مما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى، فالشاعر قد يوظف –مثلًا– ألفاظًا تحيل القارئ إلى القصص القرآني والحكايات التراثية، ويلجأ إلى التناص لتقديم معانٍ يريدها، وتأكيد مواقف مشابهة، وقد يأتي التناص في عنوان القصيدة، ومثال ذلك قصيدة حبيب الزيودي (على ماء مدين ):

عَلى ماءِ مَدْيَنَ يَرْتَفِعُ الحُبُّ صَرْحًا
وَيَدْمُلُ كُلَّ الجِراحْ
وَيَأْتي الرُّعاةُ...
وَتَسْقي لَنا أَيُّهذا القَوِيُّ الأَمين
عَلى ماءِ مَدْيَنَ يَمْتَدُّ عُمْرُ الصَّباح
وَفي كُلِّ يَوْمٍ...
سَنَزْرَعُ عِشْقًا وَليدًا
وَنَرْفَعُ صَرْحًا جَديدًا

فَإِنْ هَزَّتِ العاتِياتُ بَراعِمَنا
سَنُغَنّي:
عَلى ماءِ مَدْيَنَ لا عِشْق دونَ رِياح

**٦ – المرأة**

لا يكاد يخلو ديوان شاعر من ذكر المرأة، أو تصوير مشاعره نحوها، وربما اتخذها الشاعر رمزًا لكثير من معانيه. يقول عبد الوهاب البياتي متحدثًا عن محبوبته:

أُحِبُّ وَجْهَها الصَّغيرَ كُلَّما اسْتَدار
أُحِبُّ صَوْتَها الحَزينَ الدّافِئَ المُنْهار
يَفْتَحُ في الظُّلْمَةِ شُبّاكًا
وَيَهْمي في الضُّحى أَمْطارا

## الخصائص الفنية لشعر التفعيلة

من النماذج السابقة نستخلص أن شعر التفعيلة:

١ – يهتمّ بالوزن الشعري الذي يقوم على وحدة التفعيلة في القصيدة، ويتحرر من القافية الموحّدة.

٢ – يعتمد التكوين الموسيقي للقصيدة على التفعيلة تبعًا للدفقات الشعرية للشاعر؛ فلا يتقيد بعدد التفعيلات في كل سطر.

٣ – يعنى بعمق الصورة الشعرية ويكثر منها ويجدّد فيها، كما في قصيدة (النهر العاشق) لنازك الملائكة مثلًا.

٤ – يكثر من توظيف الرموز والأساطير للتعبير عن المعاني.

## الأسئلة

١- وضح سبب تسمية شعر التفعيلة بهذا الاسم.

٢- متى كانت البداية الحقيقية لشعر التفعيلة؟ ومن أشهر رواده؟

٣- انسب القصائد الآتية إلى قائليها:

النهر العاشق، أنشودة المطر، على ماء مدين.

٤- وضح المقصود بكل مما يأتي:

التناص، الانزياح الدلالي.

٥ - علل ما يأتي:

أ - يكثر في شعر التفعيلة استخدام الرمز والأسطورة.

ب- يميل شعر التفعيلة إلى الغموض أحيانًا.

٦- اقرأ النص الآتي من قصيدة (الكوكب الأرضي) للشاعرة فدوى طوقان، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

لَوْ بيَدي أَنْ أَحْمِيَ هذا الكَوْكَبْ
مِنْ شَرِّ خِيارٍ صَعْب
لَوْ أَنّي أَمْلِكُ لَوْ بِيَدي
أَنْ أَرْفَعَ عَنْ هذا الكَوْكَبْ
كابوسَ الحَرْب
أَنْ أُفْرِغَهُ مِنْ كُلِّ شُرورِ الأَرْض
أَنْ أَقْتَلِعَ جُذورَ البُغْض
أُقْصيهِ إِلى أَبْعَدِ كَوْكَبْ
أَنْ أَغْسِلَ بِالماءِ الصّافي
إِخْوَةَ يوسُفْ
وَأُطَهِّرَ أَعْماقَ الإِخْوَة
مِنْ دَنَسِ الشَّر

لَوْ بِيَدي
أَنْ أَجْتَثَّ شُروشَ الظُّلْم
وَأُجَفِّفَ في هذا الكَوْكَبْ
أَنْهارَ الدَّم

أ – ما الموضوع الذي تمثله القصيدة؟

ب– أين تجد التناصّ في القصيدة؟

جـ– عبّر بلغتك الخاصة عن النزعة الإنسانية التي تمثلها القصيدة.

د – مثل من القصيدة السابقة على ما يأتي:

١. توظيف الرمز للتعبير عن المعاني

٢. الاهتمام بالوزن الشعري الذي يقوم على وحدة التفعيلة في القصيدة، ويتحرر من القافية الموحّدة

## رابعًا: شعر المقاومة

عاش العالم العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر أحداثًا وصراعات جسامًا اتّسعت في القرن العشرين جرّاء سيطرة الاستعمار الأجنبيّ: البريطاني، والفرنسي، والإيطالي على الوطن العربي ومقدّراته، وما أفرزته الحركة الصهيونية من احتلال فلسطين ؛ فظهر على إثر ذلك فريقٌ من الشّعراء قاوم الاستعمار، وعكس الواقع بكلّ تفاصيله؛ ولهذا السبب برزت في كل مرحلة أصوات شعرية شكّلت رموزًا لحالات إبداعية يُلمَس فيها جمال التّصوير والخيال المبدع والصور الفنيّة واللغة الصافية الصادقة والنبرة المؤثرة.

وفي ما يأتي نعرض شعر المقاومة في الأقطار العربيّة بشكل عام، في حين نفرد جزءًا من هذا الموضوع للحديث عن شعر المقاومة الفلسطينية خاصّة؛ بوصف فلسطين هي الجرح النازف إلى يومنا هذا.

### ١ – شعر المقاومة في الأقطار العربيّة

تناول شعر المقاومة في الأقطار العربيّة عددًا من المضامين، منها:

#### أ – استنهاض الهمم وإثارتها لمقاومة المستعمر

حمل الشعراء في الأقطار العربية كافة مهمة استنهاض همم الشعوب من أجل الوقوف في وجه المستعمرين والخلاص من طغيانهم واستبدادهم، وأنّ الأمة ستبعث من جديد.

وتعبّر عن هذا المعنى أبيات الشاعر التونسي أبي القاسم الشابّي، إذ يقول:

إذا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرادَ الحَياةَ      فَلا بُدَّ أَنْ يَسْتَجيبَ القَدَرْ(١)
وَلا بُـــدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلـــي      وَلا بُدَّ لِلقَيْـدِ أَنْ يَنْكَسِـرْ
كَذلِكَ قالَتْ لِـيَ الكائِناتُ      وَحَدَّثَني روحُها المُسْتَتِرْ

ويقول سليمان العيسى في ثورة الجزائر:

الرَّبيعُ البِكْرُ أَنْ يَنْهارَ لَيْلٌ
أَنْ يَدوسَ القَيْدَ ثائِرْ
الرَّبيعُ البِكْرُ

(١) المقصود أنّ الله ـ تعالى ـ يستجيب لمن يسعى إلى طلب الحريّة بجدٍّ وهو مؤمن بقضيته وبحقّه.

أَنْ يُسْحَقَ جَلّادٌ
وَأَنْ تَحْيا جَزائِرْ

**ب– إبراز أهمية التضحيات التي قدمها شهداء المقاومة**

يقاس مدى تمسك الأمم بحريتها وتطلّعها إلى الحياة الكريمة بمقدار التضحيات التي تقدمها في سبيل ذلك الهدف، فقد كانت التضحيات حافزًا لاستكمال الطريق الذي يبدأ به أهل السَّبْق في السعي لنيل الحرية للشعوب. يقول أحمد شوقي في رثاء عمر المختار زعيم المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالي:

رَكَزوا رُفاتَكَ في الرِّمالِ لِواءً ... يَسْتَنْهِضُ الوادي صَباحَ مَساءَ
يا أَيُّها السَّيْفُ المُجَرَّدُ بالفَلا ... يَكْسو السُّيوفَ عَلى الزَّمانِ مَضاءَ
تِلكَ الصَّحاري غِمْدُ كُلِّ مُهَنَّدٍ ... أَبْلى فَأَحْسَنَ في العَدُوِّ بَلاءَ
خُيِّرْتَ فَاخْتَرْتَ المَبيتَ عَلى الطُّوى ... لَمْ تَبْنِ جاهًا أَوْ تَلُمَّ ثَراءَ
أَفْريقيا مَهْدُ الأُسودِ وَلَحْدُها ... ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَراجِلًا وَنِساءَ

ويصوّر فوزي عطوي تضحيات الشعب المصري في الخلاص من العدوان الثّلاثي على مصر فيقول:

حَدِّثْ فَتاكَ عَنِ الوُحوشِ الضّارِيَةْ ... يا شاهِدًا مَأْساةَ مِصْرَ الدّامِيَةْ
حَدِّثْ عَنِ الأَطْفالِ يَوْمَ تَمَرَّدوا ... كَيْفَ افْتَدَوْها بِالدِّماءِ الفانِيَةْ
وَعَنِ الأَيامى وَاليَتامى حينَما ... ذَرَفَتْ عُيونُهُمُ الدُّموعَ القانِيَةْ
وَتَسَهَّدَتْ أَجْفانُهُمْ فَبَدَتْ لَهُمْ ... عَيْنٌ مُؤَرَّقَةٌ وَعَيْنٌ باكِيَةْ

**جـ– وصف مشاهد المقاومة**

لم تكن النكبات لتوقف حس الاندفاع نحو المقاومة، فكان الشعراء يتبارون في نظم قصائدهم عند النكبات الكبيرة؛ لتكون باعثًا على المقاومة. ونلمس ذلك في قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي في نكبة دمشق على يد المستعمر الفرنسي، إذ يقول:

بِلَيْلٍ لِلقَذائِفِ وَالمَنايا ... وَراءَ سَمائِهِ خَطْفٌ وَصَعْقُ
إِذا عَصَفَ الحَديدُ احْمَرَّ أُفْقٌ ... عَلى جَنَباتِهِ وَاسْوَدَّ أُفْقُ

دَمُ الثُّـــــــوّارِ تَعْـرِفُهُ فَرَنْسـا وَتَعْلَـــــمُ أَنَّـهُ نـورٌ وَحَـــقُّ
بِـــلادٌ مــاتَ فِتْيَتُهـــا لِتَحْيــا وَزالـوا دونَ قَوْمِهِـمُ لِيَبْقـوا
وَلِـلْحُرِّيَّـــةِ الحَمْـراءِ بـابٌ بِكُلِّ يَـدٍ مُضَرَّجَـةٍ يُـدَقُّ

### د – تأكيد مفهوم القومية العربية

يشير محمد مهدي الجواهري في قصيدته "ثورة العراق" إلى وحدة صفوف المقاومة في الوطن العربي عامّةً، فيقول:

لَعَلَّ الَّذي وَلّى مِـــنَ الدَّهْرِ راجِعُ فَلا عَيْشَ إِنْ لَـمْ تَبْقَ إِلاّ المَطامِعُ
تُحَدِّثُ أَوْضـــاعُ العِراقِ بِنَهْضَةٍ تُـرَدِّدُهـــا أَسْواقُـهُ وَالشَّــوارِعُ
وَقَدْ خَبَّروني أَنَّ في الشَّرْقِ وَحْدَةً كَنائِسُـــهُ تَدْعـو فَتَبْكي الجَوامِعُ
وَقَدْ خَبَّروني أَنَّ لِلعُرْبِ نَهْـضَةً بَشائِرُ قَــدْ لاحَتْ لَهـا وَطَلائِـعُ
هَبوا أَنَّ هذا الشَّرْقَ كانَ وَديـعَةً "فَلا بُـدَّ يَوْمًا أَنْ تُــــرَدَّ الوَدائِعُ" (١)

## ٢– شعر المقاومة الفلسطينية

تبوّأ شعر المقاومة الفلسطينية حيزًا واسعًا في شعر المقاومة العربي لأسباب، أهمها:

– مكانة فلسطين الدينية.

– معاناة فلسطين من الاحتلال الصهيوني حتى يومنا هذا.

استطاع الشعر أن يعبر عن التجربة الفلسطينية بكلّ ما فيها، وبرزت أسماء شعراء أصبحوا رموزًا لشعر المقاومة مثل: إبراهيم طوقان، وأخته فدوى طوقان ، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زَيّاد، وعبد الكريم الكرمي. ويمكن أن نميز فيه مرحلتين متداخلتين:

### أ – مرحلة البحث عن الذات

عبّر الشعر في هذه المرحلة عن شخصية الفلسطيني اللاجئ المنتزَع من أرضه بعد أن شرّده المحتل، وأشعرته المأساة بأهمية البحث عن هُويته. وتناول موضوعات شتى مثل: الحنين إلى الوطن، ووصف المذابح التي تعرض لها الفلسطينيون، والأمل بالعودة،

---

(١) اقتبس الشاعر عجز البيت الشعري من قصيدة للشاعر لبيد بن ربيعة العامري.

والدعوة إلى النّضال. وقد اتسم شعر هذه المرحلة بالنبرة الخطابية، وبالحزن ردًّا على الواقع المرّ.

يقول محمود درويش مصورًا عذاب الشعب الفلسطيني بعد النكبة:

ماذا جَنَيْنا نَحْنُ يا أُمّاهُ
حَتّى نَموتَ مَرَّتَيْن؟
فَمَرَّةً نَموتُ في الحَياةْ
وَمَرَّةً نَموتُ عِنْدَ المَوْتْ!
يا غابَةَ الصّفْصافِ هَلْ سَتَذْكُرينْ
أَنَّ الَّذي رَمَوْهُ تَحْتَ ظِلِّكِ الحَزينْ
كَأَيِّ شَيْءٍ مَيِّتٍ إِنْسانْ؟
هَلْ تَذْكُرينَ أَنّني إِنْسانْ
وَتَحْفَظينَ جُثَّتي مِنْ سَطْوَةِ الغِرْبانْ؟
وَأَنْتِ يا أُمّاه
وَوالدي وَإِخْوَتي وَالأَهْلُ وَالرِّفاقْ
لَعَلَّكُمْ أَحْياءْ
لَعَلَّكُمْ أَمْواتْ
لَعَلَّكُمْ مِثْلي بِلا عُنْوانْ
ما قيمَةُ الإِنْسانْ
بِلا وَطَنْ
بِلا عَلَمْ
وَدونَما عُنْوانْ؟
ما قيمَةُ الإِنْسانْ؟

### ب– مرحلة اكتشاف الذات وتأكيد الهوية

وذلك منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، فقد أدت التجربة المُرّة إلى نضج الوعي ووضوح الرؤية، واليقين بضرورة تجاوز الواقع لصنع المستقبل وتحرير الأرض والإنسان. يقول الشاعر عبد الرحيم محمود:

سَأَحْمِلُ روحي عَلى راحَتي ... وَأُلْقي بِها في مَهاوي الرَّدى
فَإِمّا حَياةٌ تَسُرُّ الصَّديقَ ... وَإِمّا مَماتٌ يَغيظُ العِدى
وَنَفْسُ الشَّريفِ لَها غايَتانِ ... وُرودُ المَنايا وَنَيْلُ المُنى
وَما العَيْشُ؟ لا عِشْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ ... مَخوفَ الجَنابِ حَرامَ الحِمى

ولم يكن شعر المقاومة الفلسطينية حكرًا على شعراء فلسطين أنفسهم، فقد هبّ شعراء العرب يدافعون في قصائدهم عن فلسطين وشعبها، ويحيون الأمّة العربية التي هبت للدفاع عن فلسطين، ومن ذلك ما قاله الشاعر اللبناني بشارة الخوري (الأخطل الصغير):

يا جِهادًا صَفَّقَ المَجْدُ لَهُ ... لَبِسَ الغارُ عَلَيْهِ الأُرْجُوانا
شَرَفٌ باهَتْ فِلَسْطينُ بِهِ ... وَبِناءٌ لِلمَعالي لا يُدانى
إِنَّ جُرْحًا سالَ مِنْ جَبْهَتِها ... لَثَمَتْهُ بِخُشوعٍ شَفَتانا
وَأَنينًا باحَتِ النَّجْوى بِهِ ... عَرَبِيًّا رَشَفَتْهُ مُقْلَتانا

### الخصائص الفنية لشعر المقاومة

يتصف شعر المقاومة في الشعر العربي الحديث بأنه:

١– تتجلى فيه النبرة الخطابية، ولا سيّما عند الحديث عن استنهاض الهمم وإبراز التضحيات والحث على المقاومة.

٢– يتصف بالوضوح في المعاني والأفكار، مثل الحديث عن تأكيد الشعراء القوميةَ العربية ووصف مشاهد المقاومة.

٣– يتسم بحرارة العاطفة الوطنية والقوميّة وقوّتها. يظهر ذلك في قصيدة محمود درويش التي يتحدث فيها عن معاناة الشعب الفلسطيني من تشرد وقتل وعذاب وتطلّعٍ إلى الحرية.

## الأسئلة

١- وازن بين سمات شعر المقاومة الفلسطينية في مرحلتيه: البحث عن الذات، واكتشاف الذات وتأكيد الهوية، من حيث: الموضوعات، والعاطفة.

٢- اقرأ النّص الآتي من قصيدة (سجّل أنا عربي) للشاعر محمود درويش، ومثّل على الخصائص الفنية المتضمّنة فيه:

سَجِّلْ
أنا عَرَبي
سَلَبْتَ كُرومَ أَجْدادي
وَأَرْضًا كُنْتُ أَفْلَحُها
أَنا وَجَميعُ أَوْلادي
وَلَمْ تَتْرُكْ لَنا... وَلِكُلِّ أَحْفادي
سِوى هذي الصُّخورِ
فَهَلْ سَتَأْخُذُها
حُكومَتُكُمْ كَما قيل؟
إِذَنْ
سَجِّلْ بِرَأْسِ الصَّفْحَةِ الأولى
أَنا لا أَكْرَهُ النّاسَ
وَلا أَسْطو عَلى أَحَدٍ
وَلكِنّي إِذا ما جُعْتُ
آكُلُ لَحْمَ مُغْتَصِبي
حَذارِ.. حَذارِ.. مِنْ جوعي
وَمِنْ غَضَبي

٣- ناقش العبارة الآتية: " الشّعر مرآة الواقع"، مطبِّقًا إياها على شعر المقاومة.

٤- لم يكن شعر المقاومة الفلسطينية حكرًا على شعراء فلسطين، فسّر هذه العبارة.

٥– اقرأ النصين الآتيين، ثم أجب عما يليهما:

يقول أبو القاسم الشابي:

لَكَ الوَيْلُ يا صَرْحَ المَظالِمِ مِنْ غَدٍ ... إذا نَهَضَ المُسْتَضْعَفونَ وَصَمَّموا
إذا حَطَّمَ المُسْتَعْبَدونَ قُيودَهُمْ ... وَصَبّوا حَميمَ السُّخْطِ أَيّانَ تَعْلَمُ
هُوَ الحَقُّ يُغْفي ثُمَّ يَنْهَضُ ساخِطًا ... فَيَهْدِمُ ما شادَ الظَّلامُ وَيَحْطِمُ

و يقول البيّاتي:

لَنْ يَموتَ الشُّهَداء
فَهُمُ البِذْرَةُ وَالزَّهْرَةُ في أَرْضِ الفِداء
وَهُمُ السّاحِلُ وَالبَحْرُ وَشِعْرُ الشُّعَراء

أ – ما المضمون الذي يمثله كل نص من النصين السابقين؟

ب– استخلص خصيصتين من خصائص شعر المقاومة في كلا النصين.

٦– دلّل من الشواهد الشعرية التي درستها في ما سبق على حرارة العاطفة الوطنية وقوتها في شعر المقاومة.

٧– وازن بين شعر الثورة العربية الكبرى وشعر المقاومة ذاكرًا أوجه الشبه والاختلاف.

**النشاط**

- عد إلى ديوان محمود درويش « عاشق من فلسطين» واستخرج قصيدة (عاشق من فلسطين)، ثم ناقش زملاءك ومعلمك كيف جمع الشّاعر بين لغة الحبّ والمقاومة عند توظيفه الرّمزَ في قصيدته.

الوحدة الرابعة

# ٤ قضايا من النثر في العصر الحديث

## النتاجات الخاصة بالوحدة

**يتوقع من الطالب بعد دراسة الوحدة أن:**

- يتعرف فنون النثر الحديث: المقالة، والخاطرة، والقصة القصيرة، والسيرة، والرواية، والمسرحيّة.
- يقرأ نماذج من فنون النثر الحديث، ويبين عناصرها ومكوناتها، ويسمّي عددًا من الأعلام الذين كتبوا في هذه الفنون.
- يذكر الخصائص الفنية لفنون: المقالة والخاطرة والسيرة.
- يتتبع تطور القصة القصيرة في الأردن، ويسمي أشهر أعلامها وبعضًا من أعمالهم.
- يميّز السّيرة الذاتيّة من السّيرة الغيريّة.
- يبين شروط كتابة السيرة وشروط كاتبها.
- يتتبع تطوّر الرّواية الأردنيّة، ويسمّي أشهر أعلامها، وبعضًا من أعمالهم.
- يتعرف مفهوم المسرحيّة، ونشأتها، وعناصرها.
- يتتبع تطور المسرحية الأردنية، ويسمّي أشهر أعلامها، وبعضًا من أعمالهم.

مقدمة

نقف في هذا السياق على أبرز قضايا النثر في العصر الحديث التي كان للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية أبرز الأثر في نشأتها وتطورها شكلًا ومضمونًا، وأسهمت في تعرف الأدباء العرب كثيرًا من أساليب التعبير في الفنون النثرية، وهي: المقالة، والخاطرة، والقصة القصيرة، والسيرة، والرواية، والمسرحية.

## أولًا: المقالة

فن أدبي نثري، يتناول موضوعًا معينًا بهدف إقناع قارئه بتقبُّل فكرة ما أو إثارة عاطفته تجاهها، وقد تظهر فيه شخصية الكاتب.

ظهرت ملامح المقالة في أدبنا العربي منذ القرن الثاني للهجرة، وتمثلت في أحسن صورها في رسائل الجاحظ، التي أشبهت من بعض الوجوه المقالة العربية الحديثة.

ثم اتخذ شكل المقالة حديثًا منحًى آخر من حيث موضوعها وأسلوبها، فأصبحت تُعنى بتحليل مظاهر الحياة المعاصرة وتتناولها بالنقد والتحليل، حتى نستطيع القول: إنها عُدّت فنًّا أدبيًّا جديدًا، فقد كان لظهور بعض الصحف كصحيفة «الوقائع المصرية»، والمجلات كمجلة «المشرق» سنة (١٨٩٨م)، أثرٌ كبيرٌ في انتشار المقالة في الأدب العربي الحديث وظهورها بقالبها الجديد. ويعدّ كل من: إبراهيم المازني وأحمد حسن الزيات وعباس محمود العقاد من أشهر كتّاب المقالة في الصحافة العربية المبكرة.

### ١ - الخصائص والعناصر

اتسمت المقالة الحديثة بقربها من الناس ومعالجة مشكلاتهم العامة والخاصة، والميل إلى بث الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم، واتصفت بالوضوح في التعبير، والدقة في الوصف، والإيجاز في العرض. وما زالت هذه الخصائص هي الخصائص الفنية العامة للمقالة الحديثة.

تعتمد المقالة على عناصر ثلاثة: لغة موجزة يراعى فيها اختيار الكلمات المناسبة ذات الدلالات الواضحة بعيدًا عن التكرار والزيادة، وفكرة الموضوع التي تعبر عن وجهة نظر كاتب المقالة في موضوع ما، وعاطفة تسهم في تقديم فكرة المقالة بفاعلية وتأثير كبيرين، وغالبًا ما تظهر العاطفة في الموضوعات الإنسانية.

### ٢- نوعا المقالة

المقالة الحديثة نوعان: المقالة الذاتية، والمقالة الموضوعية. فالمقالة الذاتية حرة في طريقة عرضها، لا يضبطها ضابط، ويندر فيها الجدل والنقاش وهي تُعنى بإبراز شخصية الكاتب، وتعبر عن تجربة حيوية تَمرَّس بها. أما المقالة الموضوعية فتحرص على التقيد بما يتطلبه الموضوع من منطق في العرض والجدل وتقديم المقدمات واستخراج النتائج؛ فهي تعرضه بشكل مبسط وواضح خالٍ من الشوائب التي قد تؤدي إلى الغموض واللبس، ولا تكون شخصية الكاتب جلية فيها، إنما نراها ما بين السطور.

والمقالة الموضوعية قد تكون علمية، أو نقدية، أو سياسية، أو اجتماعية. ويتحدد حجم المقالة بتعدد فكرة موضوعها فقد تأخذ صفحة أو أكثر على ألا تكون صفحاتها كثيرة.

### ٣- المقالة في الأردن

لم يعرف الأردن المقالة إلا في القرن العشرين إثر انتشار التعليم وظهور الصحافة. إذ كان لإصدار المجلات، مثل مجلة «القلم الجديد» التي أصدرها عيسى الناعوري في عمان سنة (١٩٥٢م) ومجلة «المنار» في القدس، ومجلة «الأفق الجديد» تلتها مجلة «أفكار»، أثرٌ بيّنٌ في تطوير المقالة الأدبية الأردنية، فقد حرص كتّابها على عرض ما يقدمون بأسلوب جذاب، مستفيدين من أساليب الكتابة التي يستخدمها كتّاب عرب في مجلات أكثر عراقة.

ومن أشهر كتّاب المقالة الأردنيين: عيسى الناعوري، وحسني فريز، وعبد الحليم عباس، وخالد الكركي، وإبراهيم العجلوني، وطارق مصاروة، وحسين جمعة.

ونمثل بمقالة للكاتب الأردني الدكتور حسين جمعة بعنوان ( أفكار والزمن ):

" نصف قرن ومجلة أفكار تتحرك وتخطو بعناد ودون توقف يذكر، لم يخفت صوتها أو ينل الزمن من فُتوَّتها وعز صباها، وكأنها سارية خفاقة تنبض بهبات العصر وعبق التبدلات الحادة، وجدية الاستمرار ومحاورة الخلود، وعدم الانصياع لحشرجات الزوال والفناء.

ثمة انطباع وشبه اتفاق على اعتدال مزاجها وتوجهها، وقبول سيرتها ومسيرتها، وتقبل ما تنسجه وتحوكه من مواد وموضوعات تساير مدركات الأغلبية، وتستحوذ على اهتمام القارئ متعدد

الميول والرغبات والأذواق، وتنفتح على المواهب الناشئة، ولا تتوقف على جيل دون آخر، أو تسير في خط ضيق يتبنى تيارًا معينًا ويقتصر عليه.

إنها ملك الجميع، تسعى دائمًا إلى تجاوز عرض القضايا والإشكاليات من منظور مغلق استبعادي لطرف على حساب رأي طرف معين، تأخذ بالوسطية في الطرح والتناول والأسلوب. وهذا التوجه حصّن الأسس وأشاد الأعمدة لصمود البناء، ولم يترك مجالاً لمسؤول أن يهدم الجدران ليقيم بُنيانه الفردي أو يخضعها لتصوره الخاص، ناهيك عن المسّ بجوهرها وصلب نواتها؛ فاحتفظت أفكار بلباقتها الفكرية وملامحها الثقافية العامة، وظلت ملك معظم المثقفين والهواة من شتى المذاهب والاتجاهات، ولم نشهد أحدًا تنكّر جادًّا لمشروعية خطها العام وانسيابية حراكها والوثوق من مصداقية خطوها ومسيرتها؛ فكان لها الأثر البليغ في الحياة الثقافية والأدبية والحراك الإبداعي في الأردن، وصمدت بثبات في وجه أي تراخٍ في الاستمرار أو التباطؤ في أوقات الصدور.

هذا لا يعني أن درب أفكار كان ممهَّدًا وعريضًا، ولم تتعرض لخضات وأوقات عصيبة، حيث أصابتها أوجاع المنطقة، وأجبرها العدوان الصهيوني الغادر عام (١٩٦٧م) على التوقف الإجباري عدة سنوات، لتعود إلى الظهور كدورية فصلية لأكثر من عقد من الزمان، وتتحول بعد ذلك إلى مجلة شهرية كعهدها الأول، لكن في شكل جديد وتنظيم شديد ما تزال تحافظ عليه حتى الآن؛ مع أن فصولها ومضامينها لم تشهد انتقالات جذرية واسعة، في ظل تتابع هيئات التحرير المتكررة، التي يجري تغييرها وفق إرادة المسؤولين الكبار، وحسب منظورهم الشخصي وتقديراتهم الذاتية وعلاقاتهم بالحراك الثقافي... هذه هي المرة الثالثة التي أسجل فيها انطباعاتي عن مجلة أفكار ودورها في الحراك الثقافي والفكري. وأشهد بإخلاص، بغض النظر عن بعض المتاعب التي تواجه المجلة ومحرريها، أن النية في الدفع بمسيرتها والاستظلال باندفاعاتها تراود الجميع، سواء أكانوا قراءً أم مسؤولين كبارًا ".

## الأسئلة

١- علّق على كلٍّ مما يأتي:

أ - تمتاز المقالة بقربها من واقع الناس.

ب- المقالة وليدة الصحافة.

٢- علل: تطورت المقالة الأدبية الأردنية في النصف الثاني من القرن العشرين.

٣- وازن بين المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية من حيث:

أ - طريقة العرض

ب- الحجم

جـ- شخصية الكاتب

٤- عد إلى المقالة التي درستها ثم أجب عن الأسئلة الآتية:

أ - حدد فكرة الموضوع في المقالة.

ب- ما العاطفة التي تغلب على المقالة؟

جـ- ما مدى انسجام عنوان المقالة مع مضمونها؟

د - هات ثلاث خصائص من خصائص تلك المقالة.

٥- اذكر ممّا تعرف ثلاث مجلات ثقافية أردنية مشهورة، وثلاث مجلات ثقافية عربية متداولة.

٦- في رأيك، بم تصنف المقالة التي درستها؟ أيد إجابتك بما يدعم رأيك.

## ثانيًا: الخاطرة

فن نثري حديث، ارتبط في نشأته بالصحافة في مختلف مناحيها الأدبية والثقافية والاجتماعية والسياسية، والخاطرة قصيرة نسبيًا وتعبر عن فكرة عارضة طارئة كأنها ومضة ذهنية أو شعورية، وهي تندرج تحت عنوان ثابت في الصحيفة أو المجلة، وتكون عادة بلا عنوان.

كلمة "خاطرة" مأخوذة من عبارة (مرّ بالخاطر)؛ أي جال بالنفس أو القلب، وهو ما يمرّ بالذهن من الأمور والآراء. وقد وردت كلمة خاطر في كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي، الذي أورد فيه مجموعة من الخواطر التي تُعنى بالقيم الإنسانية فقيّدها بالكتابة؛ لكي لا تُنسى.

وقد ظهرت مجموعة من الكُتّاب العرب ممن اشتُهروا بكتابة الخاطرة، نذكر منهم: أحمد أمين، وخليل السكاكيني، وجبران خليل جبران. ومن الكُتّاب الأردنيين: صلاح جرار، ولانا مامكغ، وأحمد حسن الزعبي، وإبراهيم العجلوني.

يغلب على الخاطرة الجانب الوجداني المليء بالإحساس الصادق والعواطف الجياشة، فلذلك يمكن أن يتطرق كاتب الخاطرة إلى جوانب ليس لها حدود في ما يخطر في باله، وتتلاءم مع متطلبات القراءة السريعة.

تختلف الخاطرة عن المقالة بشكل عام من حيث:

١– الحجم، فالخاطرة عادة تكون قصيرة لا تتجاوز الصفحة، أما المقالة فقد تبلغ عدة صفحات.

٢– لا تعتمد الخاطرة على إيراد الأدلة والبراهين لإثبات رأي أو قناعة ما، بينما نجد ذلك واضحًا في المقالة، ولا سيّما المقالة الموضوعية.

٣– تعتبر الفكرة في الخاطرة وليدة لحظتها وطارئة، أما فكرة المقالة فهي مدروسة ومنتقاة.

٤– تكتب الخاطرة بتلقائية كفقرة واحدة متواصلة، بينما للمقالة شكل خاص وعناصر محددة.

### الخصائص الفنية للخاطرة

الخاطرة الجيدة تكون قوية التعبير تعبر عما في نفس كاتبها، وتكون فكرتها واضحة، وجملها متوازنة تتلاءم مع مستوى إدراك القارئ، وتعتمد أحيانًا بحسب موضوعها ونوعه على الصور الفنية والتشبيهات المجازية والاستعارات ما يجعل لها تأثيرًا في نفس القارئ.

ونمثل بخاطرة للكاتب الأردني إبراهيم العجلوني:

« نذكر من مجتمع القرية الذي أدركناه صغارًا أن ثمة شخصيات كانت تمثّل مجموعة من القيم ذات الحضور في ذلك المجتمع البسيط المحدود. كان (فلان) رمزًا للقوة البدنية التي قد تنعقد حولها الأساطير، وكان (علاّن) رمزًا للتقوى البالغة درجة الولاية ذات الكرامات، وكان في القرية من يبلغ في الذكاء مرتبة لا مزيد وراءها ومن يبلغ في النخوة أو في الكرم مبلغًا يذكّر بعنترة العبسي أو بحاتم الطائي. وفي الجملة يمكن القول: إنه كان لكل قيمة عُليا من القيم التي تعطي للحياة معنى مَن يمثلها أو يقدم أنموذجًا مشهودًا لها. حتى في مجتمع المدينة الصغيرة لأول تشكّله كان ثمة من هو مثال في البطولة أو في الغنى (القوة الخيرة والمال المحترم) أو في الذكاء والدهاء (الإدارة والسياسة) أو في غير ذلك من مناحي الحياة وتجلياتها. الآن.. وبعد تطاول العقود وتراخي السنين وتفاقم الازدحام صرنا نبحث عن أنموذجات ملموسة للقيم بحث الظمآن في البيداء عن شربة ماء، ولم يتمخض العدد الكبيرُ التماوجِ عن كيفيات يُستهدى بها إلا أن يكون ذلك فَبْركة أو صناعة إعلامية أو دعوى داحضة بغير دليل. لقد تقدمنا على المستوى المادي الاستهلاكي، وتخلّفنا تخلّفًا معجبًا على مستوى (القيمة)، فامتلكنا ظاهر الغنى وواقع الفقر في لحظة حرجة لا بد أن تتظاهر الإرادات منّا على تجاوزها، لقد شغفنا شغفًا مَرَضيًّا بالتنمية التي لا تزكية للقلوب فيها، وصار ( التراكم الكمّي) هو غايتنا القصوى ومبتغانا الرئيس، وغفلنا عن الجانب الأخلاقي من حياتنا حتى إن (العقل ) وهو النصير الظهير للأخلاق صار عندنا (عقلًا أداتيًّا)، يمارس مهاراته في نقض القيم التي تمنح الحياة معناها ويمتثل صاغرًا في خدمة (اللاأخلاقية) التي تلقي بظلالها الكئيبة على واقع البشرية البئيس. حال تقتضي – لدى العقلاء – التماس سبل النجاة منها.. فالتمسوا لأنفسكم إن كنتم تعقلون».

باستعراض النموذج السابق نلاحظ أن الكاتب يقارن بين مجتمعين تطاولت بينهما العقود وتبدلت فيهما القيم، وأصبح الكمُّ مقدَّمًا على النوع، وقد عبّر عما يجول في نفسه بوضوح وبجمل متوازنة تلائم مستوى إدراك القارئ أيًّا كانت ثقافته بعيدة عن التعقيد والتكلف، ومركزًا على الجانب الوجداني حين يطلب التماس سبل النجاة من الحال التي انتهينا إليها.

## الأسئلة

١– عرف الخاطرة لغة واصطلاحًا.

٢– وازن بين الخاطرة والمقالة من حيث: الحجم، والفكرة، والعنوان.

٣– علل ما يأتي:

أ – تطرُّق كاتب الخاطرة إلى جوانب ليس لها حدود.

ب– توظيف الصور الفنية الجمالية في كتابة الخاطرة.

جـ– تسمية ابن الجوزي كتابه « صيد الخاطر ».

٤– اقرأ الخاطرة الآتية للكاتب أحمد أمين ، ثم أجب عن الأسئلة التي تليها:

«يلاحظ الإنسان في أعماق نفسه قوة تحذره من فعل الشر إذا أُغرِيَ به وتحاول أن تمنعه من فعله، فإذا هو أصرّ على عمله أحس بانقباض نفسه أثناء العمل لعصيانه تلك القوة، حتى إذا أتم العمل أخذت هذه القوة توبخه على الإتيان به وبدأ يندم على ما فعل. كالطالب يحاول الغش في الامتحان فيحس صوتًا باطنيًا يناديه ألا يفعل، فإذا لم يسمع لهذا الصوت وبدأ يغش أحس أن هذه القوة تثبطه، فإذا استمر في عمله أنّبَتْه وندم وعزم ألا يعود. كذلك يحس أن هذه القوة تأمره بفعل الواجب فإذا بدأ في عمله شجعته على الاستمرار فيه، فإذا انتهى منه شعر بارتياح وسرور، وبرفعة نفسه وعظمتها؛ كالطالب يرى آخر مشرفًا على الغرق فينقذه، فحين إنقاذه يشعر بتشجيع نفسه على المُضيّ في عمله؛ فإذا أتم ذلك شعر بغبطة وسعادة، هذه القوة الآمرة الناهية تسمى « الضمير » – كما رأيت – تسبق العمل وتقارنه وتَلحَقه، فتسبقه بالإرشاد إلى عمل الواجب، والنهي عن الرذيلة، وتقارنه بالتشجيع على الخير، والتثبيط عن الشر، وتلحقه بالارتياح والسرور عند الطاعة، والشعور بالألم والوخز عند النسيان».

أ – ما الفكرة التي عالجتها الخاطرة؟

ب– مثل من الخاطرة على خصيصتين من الخصائص الفنية للخاطرة.

جـ- وازن بين خاطرتي: إبراهيم العجلوني وأحمد أمين من حيث:

الحجم، مراعاة الجانب الوجداني، وضوح الفكرة، التشبيهات والمجازات.

٥- في رأيك، لمَ تكون الخاطرة عادةً بلا عنوان؟

**النشاط**

- تخيل أنك جالس ليلًا تنظر في السماء، متفكرًا ببديع خلق الله. اكتب خاطرتك واعرضها على معلمك، ثم اقرأها على زملائك في الصف.

## ثالثًا: القصة القصيرة

فن أدبي نثري يتناول حكاية ما تعالج قضايا الإنسان ومشكلاته وتطلعاته وآماله.

لا يمكن لباحث أن يقر بالموطن الذي نشأت فيه القصة القصيرة على وجه التحديد، ويرى كثير من الباحثين أن القصص الأوروبية في عصر نهضة أوروبا تأثرت بالأدب الفارسي المتمثل في كتاب «كليلة ودمنة» الذي ترجمه ابن المقفع إلى العربية وكانت فكرته الأساسية القصص التي تقال على ألسن الحيوان.

وللقصة حضور في الأدب العربي؛ فالأمثال العربية قصصٌ في إطار محكم، وتذكر المصادر بعض القصص العاطفية القديمة بوصفها مثالًا على البداية المبكرة لظهور القصة القصيرة في التراث العربي، مثل قصة «زنوبيا»، وقصة «المُرَقِّش الأكبر» مع أسماء بنت عوف، كما كان للعرب قصص تاريخية استُقيت من أيامهم وبطولاتهم وأُعمل فيها مخيلات كاتبيها.

ظهرت القصة القصيرة فنًّا أدبيًّا عربيًّا في العصر الحديث في بدايات القرن العشرين، وتذهب بعض الآراء إلى أن أول قصة قصيرة عربية بالشكل المتعارف عليه كانت قصة «في القطار» لمحمد تيمور. ومن أشهر كُتّاب القصة القصيرة زكريا تامر، ويوسف إدريس، ومحمود سيف الدين الإيراني.

### ١ - القصة القصيرة في الأردن

تتحدد بدايات القصة القصيرة الأردنية بظهور المجموعة القصصية «أغاني الليل» (١٩٢٢م) لمحمد صبحي أبو غنيمة. أما مجموعة «أول الشوط» (١٩٣٧م) لمحمود سيف الدين الإيراني فتعدّ بداية شوط قصصي طويل لكاتب تمكن من متابعة تجربته وتطويرها طوال العقود المتتالية، وأسهم عن طريق شخصيته وثقافته وإنتاجه المتصل في تأكيد مكانة القصة القصيرة بين الفنون الأدبية.

وثمة عوامل ساعدت على تطور فن القصة القصيرة في الأردن، أهمها عاملان: سياسي، وثقافي:

أ - **العامل السياسي**: كان لتغير البنية السياسية للأردن من إمارة إلى مملكة عام (١٩٤٦م) إسهام كبير ساعد على تطور القصة القصيرة وباقي مناحي الحياة الأدبية، ولا سيما أن الملك عبد الله الأول - رحمه الله - كان ممن شاركوا في إرساء قواعد هذه النهضة وذاك التطور.

ب- **العامل الثقافي**: تمثّل بالتوسع في التعليم نوعًا وكمًّا بمراحله المختلفة، وانتشار وسائل الثقافة وتعدد المؤسسات المعنية بها والداعمة لحركة النشر، علاوة على أن معظم الصحف الأردنية خصصت ملاحق ثقافية احتفت بنشر الإنتاج القصصي، كما ظهرت الاتحادات والروابط الأدبية والثقافية، مثل: نادي أسرة القلم، ورابطة الكتاب الأردنيين، واتحاد الكتّاب والأدباء الأردنيين.

اهتمت القصة القصيرة في هذه الحقبة بالرؤية الداخلية، بحيث أصبحت تكشف عن أعماق الشخصية ونبضها وحركتها الانفعالية، دون أن يكون هناك كبير عناية بالعالم الخارجي، إلا من حيث كونه مثيرًا لانفعالات الشخصية وحركتها الداخلية، ويتبع ذلك كثرة الاعتماد على الراوي المتكلم الذي يروي قصته بنفسه.

وشهدت الألفية الجديدة أصواتًا جديدة في كتابة القصة القصيرة وإصدار المجموعات القصصية مثل: جمال ناجي، وجمال أبو حمدان، وعقلة حداد، وسناء الشعلان، وسعود قبيلات، ونايف النوايسة، ومفلح العدوان.

## ٢- عناصر القصة القصيرة

أ - **الحدث**: هو أوضح العناصر في القصة وأكثرها شيوعًا، وهو مجموعة من الوقائع والأفعال التي يرتبط بعضها ببعض ويتبع بعضها بعضًا، وعليه تقوم القصة القصيرة؛ لأنه يتصف بالوحدة لا التعدد، ويستقطب انتباه القارئ. ولكي يحقق الكاتب هذا الهدف يعمد إلى طريقة سهلة مبسطة، فهو يرسم المَشاهد ويصف المواقع التي تدور فيها الأحداث بحيث تصبح كأنها ستارة من ستائر المسرح الخلفية.

ب- **الشخوص**: هي التي يقع لها الحدث أو يحدث معها الفعل المرتبط به وتتفاعل معه. وتعد الشخصية الإنسانية مصدر إمتاع وتشويق في القصة، لعوامل كثيرة؛ منها أن هناك ميلًا طبيعيًّا عند كل إنسان إلى التحليل النفسي ودراسة الشخصية.

**جـ- البيئة (الزمان والمكان):** بيئة القصة هي حقيقتها الزمانية والمكانية؛ أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي.

**د - الحوار:** هو كل كلام يجري بين شخصين أو أكثر من شخوص القصة. وهو من أهم الوسائل التي يعتمدها الكاتب في رسم الشخوص وبناء حبكته القصصية، وبواسطته تتصل شخوص القصة في ما بينها اتصالًا صريحًا مباشرًا.

والحوار في القصة نوعان :

١. الحوار الداخلي (المونولوج): وهو حديث الشخصية مع ذاتها في القصة.

٢. الحوار الخارجي (الديالوج): وهو ما يدور بين شخوص القصة من حديث.

**هـ- الحبكة (العقدة):** هي سلسلة الأحداث التي تجري في القصة، حيث تتأزم وصولاً إلى الذروة، مرتبطة عادة برابط السببية. وهي لا تنفصل عن الشخوص، وبداية الصراع في القصة هو بداية الحبكة، والحادث المبدئي هو المرحلة الأولى في الصراع، ونهاية الصراع هي نهاية الحبكة.

**و- الحل (النهاية):** تنتهي القصة القصيرة بإحدى النهايتين الآتيتين:

١. النهايات المفتوحة: يترك الكاتب في نهاية قصته مجالًا للتفكير كأن يختم قصته باستفهام في ختام الصفحة الأخيرة، فتكون النهاية أكثر إثارة للقارئ ودفعًا لفضوله، وحثًّا لمخيلته كي تنشط وتجهد، فيبقى النص معلقًا متأرجحًا لاحتمالات متعددة.

٢. النهايات المغلقة: يكون الكاتب قد أوجد الحل في نهاية قصته. فهي لا تترك وراءها سؤالًا أو استفهامًا، بل ترد في صيغة إخبارية تقريرية.

وفي ما يأتي نموذج قصة قصيرة للكاتب الأردني عقلة حداد بعنوان " القهوة والخريف":

«أفقتُ مبكرًا، أشعلت النور ونظرت إلى الساعة، فإذا بها قد تجاوزت الثالثة والنصف بقليل.. تركت السرير واتجهت إلى النافذة لأملأ صدري ببعض الهواء.. داهمتني العتمة، فلم أميز شيئًا بادئ الأمر، غير أني لمحت خيوط النور الضعيفة تنتشر في دوائر ضيقة..

الصمت يطبق على كل شيء.. ومن بعيد تأتي خشخشة السماعات، لعله المؤذن يستعد ويتحفز ليدعو الناس للعبادة..

أَحسّ الظلامُ بدبيب الحياة، ونفذ الخوف إليه حينما تململ الفجر، فبدأ يسحب أطراف وشاحه، ويلملم ثنايا ردائه، ويتجه نحو بحر الظلمات.. في اللحظات تلك تركتُ النافذة.. وتجولتُ في أطراف البيت. كانت نغمات التنفس هي الشيء الوحيد المميز.. فكرتُ أن أبعث الحركة فيهم ليستمتع الجميع معي بروعة اليقظة المبكرة، لكن صوتًا من خلفي فاجأني وهو يقول: صباح الخير يا أبي..

– التفتّ إلى الخلف: مَن؟

– بِشْر!

– ابتسمت له قائلًا: أخفتَني يا ولدي وأفسدتَ عليّ خطّتي..

– أحببتُ أن أسيطر على برنامج الدراسة الذي وضعتُ..

– وفّقك الله..

تركني وفي وجهه التصميم، وفي عينيه الإرادة والعزم.. رحتُ أفكر فيه.. فتًى في مقتبل العمر قوي الإرادة، تعدّى السادسة عشرة ببضعة أشهر..

ما هذا الصوت؟!.. إنه صوت تنفس الصغيرة «رانية». حرّكتُها قليلًا إلى أن عاد التنفس طبيعيًّا.. رتبت الغطاء على جسمها، نظرت إليها، فرأيت ملامح الطفولة على وجهها وصور البراءة على محياها. يا لها من طفلة شقية، كثيرة الحركة.. حتى في نومها هي كذلك.

آه؛ لقد نسيت القهوة.. ربما (فارت) وأنا أفكر بهذه الصغيرة.. أسرعتُ، لكنني وصلت متأخرًا فقد انطفأ الغاز وانسكبت القهوة.

سأل «بِشْر»: هل هناك شيء على (الغاز) يا أبي؟ فابتسمتُ..

وضعت الإبريق من جديد على (الغاز)، واتجهت للنافذة.. وحينما اقتربتُ فاجأني هزيم الرعد القوي، ووميض البرق الشديد، وانهمر المطر بعنف، والزخات تُصدر موسيقا خاصة وهي تسقط على أوراق الخريف وفوق أغصان الشجر.. أهي عاصفة؟ كيف تأتي ونحن نعاني من موجة حَرّ وخمول! ربما هي عاصفة عابرة. ما أجمل المطر وهو يدقُّ النوافذ! وما أروع رشقاته وهي تضرب الشارع في موسم غير متوقّع! اشتدي أيتها العاصفة ونظّفي الشوارع..

سأوقظ زوجتي لتشاهد المطر معي والعاصفة.. ولكنها تخشى البرق والرعد. ربما هي

مستيقظة ..لا..لا.. إنها متعبةٌ جدًا هذه الزوجة الرائعة.. كم هي جادّة في عملها، حماستها هي هي، داخل البيت وخارجه مخلصةٌ وفيّةٌ، كانت معي طوال سنوات الرحلة، بالمستوى نفسه من الحماسة والقوة والاندفاع، تقف بجانبي، دومًا تناقشني، تريدني ألا أتراجع، وأن أتقدم دومًا وباستمرار، لم تتذمر يومًا وفي أحلك الظروف كانت معي، فهل أبخل عليها في هذا الفجر الخريفي العاصف بفنجان من القهوة نحتسيه معًا ونحن نسمع المطر يعزف على نوافذ الواجهة الزجاجية؟!

أيقظتُها وقلت لها: «انهضي لقد جاء ضيف لمدينتنا.. جاء رسول الشتاء في وقت مبكر هذا العام.. إنه المطر.. انظري إليه وهو ينهمر بقوة، ورشقاته تضرب الأرض بعنف، والبرق يشرع سيفه، والرعد يضرب طبوله.. هيا انهضي».

فتحتْ عينيها على وميض البرق، ثم سمعت قصف الرعد: ما هذا؟! أهي عاصفة؟

أجل يا زوجتي.. انهضي لنشرب فنجانًا من القهوة أمام هذه اللوحة العنيفة.

وأسرعتُ إلى المطبخ من جديد عندما تذكرتُ القهوة. لحقتْ بي الأسرة عندما ندتْ عني صرخة لا إرادية وأنا أشاهد الإبريق بلا ماء، ولونه رمادي كأوراق الخريف.. أحسّت الأسرة بالحزن الخريفي المتفشي في أعماقي، اقتربوا جميعًا مني.. التفّوا حولي، وأخذوا بيدي إلى الغرفة المطلة على العاصفة.. ودون أن يقولوا شيئًا، كانت القهوة على موقد الغاز تُصْنَع من جديد».

باستعراض النموذج السابق للقصة القصيرة نجد أن شخصية البطل اهتمت بسرد الأحداث والوقائع التي جرت في مكان معين وهو المنزل الذي يسكن فيه مع أسرته، وفي زمن معين هو وقت الفجر. وبالرغم من أن البطل روى بلسان المتكلم إلا أن الحوار بنوعيه قد ظهر – وإن كان مقتضبًا – بين الأب وابنه بشر وزوجته، وحواره مع نفسه. ويلحظ اهتمام القصة بالرؤية الداخلية لشخصية البطل وكشفها عن أعماق شخصيته وحركاته الانفعالية وتأثره بالعالم الخارجي المثير للانفعالات الشخصية، كما يبدو الصراع فيها جليًّا عند نسيان القهوة وهي تفور وكون ذلك دليلًا على الحزن الذي يتفشى في أعماقه. وقد أبدع الكاتب في توظيف الصور البيانية التي أضفت على النص جمالًا وحيوية، ومن ذلك مداهمة العتمة له، وإحساس الظلام بدبيب الحياة، وسماعه عزف المطر على واجهة الزجاج الأمامية.

## الأسئلة

١- عرف ما يأتي:

القصة القصيرة، الحوار الداخلي، الحبكة.

٢- للقصة القصيرة حضور في الأدب العربي القديم، وضح ذلك.

٣- علل ما يأتي:

أ - يعد عنصر الحدث من أبرز عناصر القصة.

ب- الشخوص في القصة من مصادر التشويق والإمتاع.

جـ- تعد المجموعة القصصية « أول الشوط » لمحمود سيف الدين الإيراني البداية الحقيقية للقصة القصيرة في الأردن.

٤- بين أهم عوامل ازدهار القصة القصيرة في الأردن.

٥- أ - أيهما تفضل النهايات المغلقة أم النهايات المفتوحة في القصة القصيرة؟ بين سبب تفضيلك إحداهما.

ب- ما رأيك في النهاية التي انتهت إليها القصة القصيرة "القهوة والخريف"؟

### النشاط

- عد إلى المكتبة، واختر قصة لأحد الكتّاب الآتية أسماؤهم، ولخصها محافظًا على عناصرها الرئيسة: جمال أبو حمدان، وسناء الشعلان، وسعود قبيلات.

## رابعًا: السيرة

فن نثري أدبي يتناول حياة شخصية إنسانية ذات تميّز وافتراق، تُعتمد فيها الروح القصصيّة؛ ولكنها قصصيّة غير حرّة؛ فهي مرتبطة بالتاريخ الحقيقي لصاحب الشخصية، ويمكن أن يكون فيها قدر من الخيال الذي لا يُخلّ بالتاريخ.

ولا تعني كتابة السيرة أن يقصر الكاتب حديثه على حياة صاحب السيرة الخاصة، فقد يتحدث عن قضايا المجتمع وعلاقة صاحب السيرة بها، لكون صاحب السيرة فردًا من المجتمع يؤثر فيه ويتأثر به.

### ١- نوعا السيرة

أ - **السيرة الذاتية:** يحكي فيها الكاتب عن حياته - أو جزء منها- وغالبًا ما يقدم الكاتب ميثاقًا لسيرته الذاتية يَعِدُ فيه القارئ أن يقول الحقيقة عمّا عاشه فعلًا. فالسيرة توضّح مواقفه من المجتمع وتكشف فلسفته وآراءه وتفسر اتجاهاته، وقد يعترف بالأخطاء التي ارتكبها في مرحلة ما من حياته.

وتكتب السيرة الذاتية غالبًا بضمير المتكلم، إلا أنّ بعض الكُتّاب استخدموا ضمير الغائب مثل طه حسين في كتابه «الأيام».

ب- **السيرة الغيرية:** يكتب فيها المؤلف عن شخصية ما، وهو في هذه الحالة يتحدث عن الشخصية في بيئتها وزمانها، معتمدًا على النقل والذاكرة أو المشاهدة، مع توخي الدقة والموضوعية والحياد في نقل الأحداث والوقائع، وتحليل الظروف التي أحاطت بها: مولدًا ونشأةً وتعليمًا، وكشف أثرها في شخصية صاحبها وخبراته وآرائه. كما أن كاتبها ملزم بتنوع مصادره التي يعتمدها في ما يكتبه عن الشخصية التي يسرد سيرتها.

والأصل أن يتناول حياة شخص جدير بالاهتمام له مكانة في المجتمع، أو حقق إنجازات سياسية أو ثقافية أو فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية؛ مثل عبقريات العقاد.

والمنهج الشائع في كتابة السيرة أن يتتبّع الكاتب حياة صاحب السيرة بالتسلسل الزمني؛ أي أن يتحدث عن مراحل حياته بالتوالي، حتى يختمها بالموت. والكاتب

إذ يحافظ على التسلسل الزمني ينتقي من حياة صاحب السيرة مواقف دالة، ويعرضها للقرّاء بأسلوب منهجي علمي، وبصورة مؤثرة. وقد يترجم له من غير التسلسل الزمني. مثل كتاب «حياة الرافعي» للعريان(١).

## ٢- مراحل ظهور السيرة في الأدب العربي

مرت كتابة السيرة بمرحلتين:

أ - المرحلة التاريخية: وقد ركزت على الجانب التاريخي، ومنها «سيرة ابن اسحاق» التي هذّبها ابن هشام الأنصاري وصارت تعرف بسيرة ابن هشام، وتحدث فيها عن سيرة الرسول ﷺ ، وكتاب «المغازي » للواقدي.

ب- المرحلة الأدبية: وهي ذات طابع أدبي، ظهرت في القرن الخامس الهجري وأشهرها: كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ(٢)، الذي تحدث فيه عن حياته وفروسيته ومجتمعه زمن الحروب الصليبية.

أما في الأدب الحديث فأوّل سيرة ذاتية ظهرت سيرة أحمد فارس الشِّدياق التي دونّها في كتابه «الساق على الساق في ما هو الفارياق» المطبوع في منتصف القرن التاسع عشر، وقد حاز الكتاب شهرة واسعة في الأدب العربي لما اتسم به من سلامة اللغة، وقوة العبارة، وروح السخرية، والاستطرادات والانسياق وراء الترادف اللغوي، والتلاعب بالألفاظ والحوار المصنوع.

وفي مطلع القرن الماضي ظهر كتاب «الأيام» لطه حسين الذي توافرت فيه مجموعة من العوامل جعلت منه سيرة ذاتية رفيعة، أهمها: الأسلوب القصصي، واللغة الشاعرية الجميلة، والسلاسة والعذوبة في طرح الأفكار والآراء، والقدرة على التصوير والتلوين، والصراحة، والجرأة في كشف الواقع، وروح النقد والسخرية اللاذعة، ولا تزال له شهرة واسعة في العالم العربي.

---

(١) محمد سعيد العريان (١٩٠٥-١٩٦٤م) أحد كبار كتّاب مصر، اشتغل بالتدريس، شارك في تحرير عدد كبير من المجلات وفي قصص الأطفال وفي تحقيق الكتب المخطوطة. تعتمد شهرته على ما أصدر من روايات تاريخية.

(٢) أسامة بن مرشد بن عليّ بن منقذ، ولد بشيزر، وانتقل إلى مصر وقاد عدّة حملات على الصليبيين في فلسطين، له تصانيف في الأدب والتاريخ، (ت ٥٨٤هـ).

ومن أبين المحاولات ذات الطابع الأدبي في السيرة الحديثة «حياة الرافعي» للعريان، وعبقريات العقاد، و«جبران» لميخائيل نُعيمه، والسّير الذاتية: «رحلة جبليّة رحلة صعبة» لفدوى طوقان، و«غربة الراعي» لإحسان عباس، و«الشريط الأسود» لعيسى الناعوري، و«إيقاع المدى» لمحمود السّمرة.

### ٣- شروط كتابة السيرة (الذاتيّة والغيريّة)

لا بد من توافر شروط في السيرة وفي كاتبها حتى تكون سيرة ناجحة منها:

**أ - في السيرة**

١. التركيز على حياة الشخص صاحب السيرة دون التوسع في الحديث عن حياة من لهم صلة به من الأشخاص.
٢. الموضوعية في تناول شخصية صاحبها، والابتعاد عن العاطفة الزائدة التي يمكن أن تحرف السيرة عن وضعها الطبيعي.
٣. توظيف الخيال من غير إغراق فيه؛ لأن طغيان الخيال يخرج السيرة عن نطاقها.
٤. مراعاة النمو والتطور في سلوك الشخصية بما يتناسب والتقدم في سِنّه وغنى خبراته.
٥. استخدام الأسلوب المعبّر الشّائق القادر على جذب انتباه القارئ.
٦. يمكن أن يستطرد الكاتب ويسهب ويطوّل في وصف شخصية صاحب السيرة.

**ب- في كاتبها**

١. أن يكون لدى الكاتب القدرة على اختيار المعلومات التي تستحق التسجيل في السيرة، وهذه القدرة تتطلب ذوقًا أدبيًا رفيعًا ودقة ملاحظة، وقدرة على المقارنة والموازنة.
٢. أن يتوخّى الكاتب الحقيقة والصدق والدقة والموضوعية. فهو أديب فنّان كالشاعر والقاصّ في طريقة العرض، ولكنه لا يخلق الشخصيات من خياله، بل يرسمها بصورة بارعة معتمدًا على الواقع وما توافر لديه من معلومات.
٣. أن يتمتع بسعة الثقافة وكثرة الاطّلاع على ما يحيط بعصر صاحب السيرة.

وفي ما يأتي نموذج للسيرة الذاتية لطه حسين من كتابه « الأيام » :

" عرفته في الثالثة عشرة من عمره حين أُرسل إلى القاهرة ليختلف إلى دروس العلم في الأزهر... كان نحيفًا شاحب اللون مهمل الزّيّ أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى، تقتحمه العين اقتحامًا في عباءته القذرة وطاقيته التي استحال بياضها إلى سواد قاتم، وفي هذا القميص الذي يبين أثناء عباءته وقد اتخذ ألوانًا مختلفة من كثرة ما سقط عليه من الطعام، وفي نعليه الباليتين المرقعتين. تقتحمه العين في هذا كله، ولكنها تبتسم له حين تراه، على ما هو عليه من حال رثّة وبصر مكفوف، واضح الجبين، مبتسم الثغر، مسرعًا مع قائده إلى الأزهر، لا تختلف خطاه، ولا يتردّد في مشيته، ولا تظهر على وجهه هذه الظلمة التي تغشى عادة وجوه المكفوفين. تقتحمه العين ولكنها تبتسم له، وتلحظه في شيء من الرفق، حين تراه في حلقة الدرس، مصغيًا كله إلى الشيخ يلتهم كلامه التهامًا، مبتسمًا مع ذلك لا متألمًا ولا متبرمًا، ولا مظهرًا ميلًا إلى لهوٍ، على حين يلهو الصبيان من حوله أو يشرئبّون إلى اللهو. عرفته يا ابنتي في هذا الطَّور، وكم أحب لو تعرفينه كما عرفته، إذن تقدّرين ما بينك وبينه من فرق. ولكن أنّى لكِ هذا وأنتِ في التاسعة من عمركِ ترين الحياة كلها نعيمًا وصفوًا.

عرفته ينفق اليوم والأسبوع والشهر والسنة لا يأكل إلا لونًا واحدًا، يأخذ منه حظه في الصباح ويأخذ منه حظه في المساء، لا شاكيًا ولا متبرمًا ولا متجلدًا ولا مفكرًا في أن حاله خليقة بالشكوى. ولو أخذت يا ابنتي من هذا اللون حظًّا قليلًا في يوم واحد لأشفقت أمُّك، ولقدمت إليك قدحًا من الماء المعدني، ولانتظرت أن تدعو الطبيب. لقد كان أبوكِ ينفق الأسبوع والشهر لا يعيش إلا على خبز الأزهر... وكان ينفق الأسبوع والشهر والأشهر لا يغمس هذا الخبز إلا في العسل الأسود، وأنتِ لا تعرفين العسل الأسود، وخير لكِ ألا تعرفيه".

يتحدث طه حسين في النص السابق عن طفولته بما تحمل من معاناة، ونلحظ أنه كان صريحًا إلى حدٍّ كبيرٍ، وكان واقعيًّا في تسجيل سيرة حياته، وفي حديثه عن الناس الذين تعامل معهم، أو درس على أيديهم، فقد كشف علاقات الناس وسلوكهم، ونقدهم وبيان الحالة الاجتماعية في ذلك الوقت، ووصف حياته في جامع الأزهر ناقدًا، وصور الصراع بين الإنسان وبيئته، فهو يصف مراحل حياته ويتدرج بها، معتمدًا على أنها خير مثال للانتصار على واقعه المرير.

## الأسئلة

١– ما مفهوم السّيرة الذّاتية في الأدب العربي الحديث؟

٢– ميّز السيرة الذاتية من الغيرية مما يأتي:

أ – جبران ب– غربة الراعي جـ– رحلة جبلية رحلة صعبة

د – إيقاع المدى هـ– حياة الرافعي

٣– لِمَ نالت سيرة أحمد فارس الشّدياق التي دوّنها في كتابه «الساق على الساق في ما هو الفارياق» شهرة واسعة في الأدب العربي؟

٤– أ – بين العوامل التي جعلت كتاب «الأيام» لطه حسين سيرة ذاتية رفيعة.

ب– كيف تقيّم النص المختار من سيرة طه حسين «الأيام» في ضوء فهمك لشروط كتابة السيرة؟

٥– ما الذي يغري الأدباء بكتابة السيرة؟

٦– علل ما يأتي:

أ – لا تقتصر كتابة السيرة الذاتية على حياة الفرد الخاصة.

ب– من شروط كاتب السيرة الدقة والموضوعية.

جـ– عدم الاعتماد على الخيال وحده في كتابة السيرة، مع أنّها عمل أدبي.

٧– في رأيك، لم يجب أن يتمتع كاتب السيرة بسعة الثقافة وكثرة الاطلاع على ما يحيط بعصر صاحب السيرة؟

### النشاط

- تذكر مسيرتك الدّراسية في المرحلة الثانوية وحاول أن تكتب فصلًا من سيرتك الذاتية بأسلوب أدبيّ، ثم اعرضها على معلمك.

## خامسًا: الرّواية

فن أدبي نثري، يعتمد السرد في وصف شخصياتٍ وأحداثٍ على شكل قصة متسلسلة طويلة. وتجتمع في الرواية مجموعة عناصر متداخلة؛ أهمها الشخصيات والأحداث والزمان والمكان والحوار والسرد. وهي الآن من أكثر الفنون الأدبية انتشارًا وشهرة. وتتصف الرواية بالتشويق وتنوع أساليب سردها؛ إذ لا قانون للكتابات الروائية فهي تمنح الكاتب حرية الإبداع، فيبني عالمه الروائي من سرد الأحداث وعرضه للزمان والمكان والأشخاص، وانتقائه اللغة المناسبة بطريقة خاصة تجسد ميوله الإبداعية والثقافية وأفكاره وخصوصية المجتمع الذي يمثله.

### ١- النشأة والتطور

للرواية أصولٌ في التراث العربي القديم، فقد كان التراث حافلًا بإرهاصات قصصية، تمثلت في فن المقامات وحكايات السُّمّار والسِّيَر الشعبية وقصص الصعاليك وأضرابهم، فقصة «حي بن يقظان» لابن طفيل، وقصص «ألف ليلة وليلة» وغيرهما أمثلة على وجود فن الرواية في أدبنا العربي القديم.

وقد تركت المقامات بصمات واضحة في مؤلف محمد المويلحي(١) «حديث عيسى بن هشام» وفي مؤلفات غيره من الذين اتخذوا من أسلوب المقامة شكلًا فنيًا لهم، فقد أراد المويلحي أن يستخدم القالب الروائي لتصوير التناقضات في المجتمع المصري آنذاك، بلغة السرد الروائية التقليدية التي تقوم على التتابع الزمني وربط المقدمات بالنتائج. وهناك إجماع في الأوساط النقدية على أن رواية «زينب» التي كتبها محمد حسين هيكل ونشرها سنة (١٩١٢م) هي أول رواية عربية ناضجة.

وبعد ذلك ظهر جيل من الكُتّاب ألّفوا كثيرًا من الروايات، منها: «يوميات نائب في الأرياف» لتوفيق الحكيم، ورواية «سارة» لعباس محمود العقاد، و«دعاء الكروان» لطه حسين، و«أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ التي كانت أحد أسباب نيله جائزة نوبل العالمية في الأدب

(١) محمد المويلحي (١٨٥٨–١٩٣٠م) نشأ في بيت ثراء وأدب، سنحت له الفرصة أن ينتقل إلى فرنسا وإيطاليا فيتقن الفرنسية والإيطالية، وفي عام (١٩٠٧م) نشر قصته «حديث عيسى بن هشام».

عام (١٩٨٨م). وفي سوريا ظهرت الرواية التاريخية «سيد قريش» لمعروف الأرناؤوط، وغيرها من الروايات.

تطورت الرواية العربية في القرن العشرين تطورًا ملحوظًا، واستقطبت اهتمام القُرّاء والنقاد على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم. كما تنوعت أساليب كتابتها واختلفت أشكالها وتعددت أنواعها وتياراتها وصيغ تقديمها، فظهر جيل آخر من الروائيين العرب، سمي بالحداثيين، خرجوا على رؤية الرواية التقليدية وتقنياتها، وظهرت على أيدي هؤلاء الكُتّاب مثل: صُنع الله إبراهيم، وحنّا مينا، وجمال الغيطاني، والطيب صالح ، وإميل حبيبي، وعبد الرحمن منيف، وغيرهم، رؤية روائية تحمل اتجاهات معاصرة وحداثية مختلفة، من أهم سماتها أن الخطاب الروائي تجاوز المفاهيم التقليدية حول الرواية في عصورها الكلاسيكية والرومانسية والواقعية؛ وتداخلت أساليبها مع تداخلات العالم الخيالي والواقعي والتاريخي؛ ما جعلها – سواء في حبكتها أو شخوصها – أكثر تعقيدًا وأعمق تركيبًا. ووصلت الرواية بذلك إلى دنيا النص المفتوح الذي يفضي إلى قراءات متعددة لا تصل إلى تفسير نهائي للخطاب الروائي.

## ٢– عناصر الرواية

يختلف فن الرواية عن غيره من الفنون السردية بطوله وتشابك أحداثه، وتعدد الشخصيات والأماكن والأزمنة فيه، إلا أنّ هناك عناصر مشتركة بينها وبين القصة القصيرة التي مرت بك، ومن العناصر التي تتمايز بها الرواية من غيرها:

**السرد**: وهو الوعاء اللغوي الذي يحتوي كل عناصر الرواية، وينقل الأحداث والمواقف من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية تجعل القارئ يتخيلها وكأنه يراها بالعين، فلغة السّرد الروائية التقليديّة تقوم على التتابع الزمني وربط المقدمات بالنتائج، وأما أسلوب تقطيع المشهد أو الحادثة على مواقع مختلفة فإنه يجعل القارئ المتلقي يعيش حالة من التوتر والتشويق لمتابعة الأحداث ومصائر الشخوص.

وهناك طرق ثلاث لسرد أحداث الرواية، هي:

أ – **الطريقة المباشرة:** تعد أكثر الطرق شيوعًا، فيها يقف المؤلف خارج الأحداث ويروي ما يحدث لشخوص روايته.

ب– **طريقة السرد الذاتي:** تُروى الأحداث على لسان المتكلم، وهو غالبًا ما يكون بطل الرواية، ويبدو المؤلف وكأنه هو البطل.

جـ– **طريقة الوثائق:** يعتمد المؤلف على الخطابات والمذكرات واليوميات، ويتخذ منها أدوات لبناء رواية مترابطة الأجزاء.

وقد يلجأ الكاتب الرّوائي إلى طريقة من هذه الطرق ويترك أخرى، ولهذه الطرق السّردية وظيفة عامة شاملة تتمثل في تحقيق توازن البناء الرّوائي. وتتداخل الأساليب التعبيرية الفنية في الرواية لتشكل في النهاية الحبكة الفنية التي تشكل البناء القصصي للرواية.

### ٣– الرواية في الأردنّ

نشأت الرواية في الأردن في أعقاب ظهورها في بعض الأقطار العربية ولا سيما مصر والعراق وبلاد الشام، وهي جزء من مسيرة الرواية العربية الحديثة تخضع لما تخضع له هذه الرواية من مؤثرات، وتتأثر إلى حدّ كبير بمحيطها الثقافي، والتيارات والاتجاهات السائدة، وتكتسب هويتها من خلاله.

لم تستطع الرواية الأردنية في بدايات القرن الماضي أن تتعامل مع البناء الروائي بصورة فنية، إذ كان الكُتّاب يظهرون قدراتهم البلاغية في الإنشاء الأدبي في إطار تقليدي دون اهتمام بالبناء الفني الروائي.

ظهرت محاولات روائية مثل: «فتاة من فلسطين» لعبد الحليم عباس، و«مارس يحرق معداته» لعيسى الناعوري، و«فتاة النكبة» لمريم مشعل. ثم ظهرت رواية تيسير سبول «أنتَ منذ اليوم» عام (١٩٦٨م) وهي الرواية الوحيدة له، وتمتاز بأنّها أنموذج للرواية الأردنية المتناسقة فنًّا ومضمونًا؛ فقد تجاوزت الوصف المباشر للشخوص إلى التحليل النفسي الداخلي، معتمدة الحوار الداخلي، وعدّ النقاد هذه الرواية علامة على مرحلة مهمة في تأسيس الرواية الحديثة في الأردن؛ فهي رواية جديدة في بنائها وأسلوبها ولغتها وهدفها، إذ امتازت بأمرين: الأول: تصوير أزمة من أزمات وجودنا المعاصر، والثاني: أنها تضيف

جديدًا على صعيد البنية السردية يتمثل في كشف العلاقات الخفية بين الظواهر والأشياء التي قد تبدو في الظاهر والواقع المعيش متباعدة أو متنافرة أو مألوفة.

وممن حققوا شهرة واسعة في الرّواية الأردنية: غالب هلسا، الذي أصدر روايته «الضحك» عام (١٩٧٠م)، وجمال ناجي «الطريق إلى بلحارث»، ومؤنس الرّزاز «أحياء في البحر الميت»، وطاهر العدوان «وجه الزمان»، وإبراهيم نصر الله «مجرد اثنين فقط»، وسميحة خريس «شجرة الفهود»، وهاشم غرايبة «الشهبندر»، ومحمود الريماوي «حلم حقيقي»، وجلال برجس « أفاعي النار»، وغيرهم.

## الأسئلة

١- وازن بين القصة القصيرة والرواية من حيث الشخوص والزمان والمكان.

٢- مَن مؤلفو الروايات الآتية؟

فتاة من فلسطين، الضحك، زينب.

٣- علل ما يأتي:

أ - تتصف الرواية بالتشويق وتنوع الأساليب.

ب- ميل الرواية الحداثية إلى العمق والتعقيد.

جـ- يعد عنصر السرد من أبرز عناصر الرواية.

د - بلغ نجيب محفوظ بفن الرواية ذروة الإبداع.

٤ - ما وظائف الطرق السّردية في الرواية؟

٥ - للرواية أصولٌ في التراث العربي القديم، بين ذلك.

٦ - ما الرواية الرائدة بالمفهوم الفني الحديث للرواية في الأدب العربي الحديث؟علّل إجابتك.

٧ - تعدّ رواية تيسير سبول «أنتَ منذ اليوم» بداية مرحلة مهمة في تأسيس الرواية الحديثة في الأردن، لماذا؟

٨- ما دلالة اعتبار الرواية من أكثر الفنون الأدبية انتشارًا وشهرة؟

٩- بين دور الروائيين الحداثيين في تطور الرواية العربية.

**النشاط**

- عد إلى الشبكة العالمية للمعلومات، واكتب اسم رواية واحدة لكلٍّ من:
أيمن العتوم، سالم النحّاس، سحر ملص، ليلى الأطرش، هزاع البراري، يوسف ضمرة.

## سادسًا: المسرحية

فن أدبي يقوم على فكرة الصّراع بين متناقضين، تنجزها شخوص تحيا وتروي قصتها أو تعرض قضيتها عن طريق الحوار، وهي بهذا تختلف عن القصة، فالقصة يروي أحداثَها كاتبُها، والمسرحية قصة حوارية قابلة للتمثيل المسرحي ويصاحب تمثيلها مناظر ومؤثرات مختلفة، ولذلك يراعى فيها جانبان: تأليف النص المسرحي، والتمثيل الذي يجسم المسرحية أمام المشاهدين تجسيمًا حيًّا. وقد نقرأ المسرحية مطبوعة في كتاب دون أن نشاهدها ممثلة على المسرح، ولكنها مع ذلك تظل محتفظة بمقوماتها الخاصة.

وتقوم المسرحية على موضوع رئيس واحد تتمحور حوله منذ البداية حتى النهاية، دون تشتيت الانتباه بموضوعات ثانوية أو تفصيلات زائدة، كما ينبغي ألا تغرق في الوصف والتعليق؛ لأن ذلك يضعف البناء الدرامي ويفقد القارئ أو المشاهد صلته بالنص.

### ١- نشأتها

المسرح فن يوناني من أعرق الفنون وأقدمها، نشأ نشأة دينية، فقد كانت المسرحية تتناول الشخصيات العظيمة، بدأت بالآلهة عند الإغريق، ثم بأبطال من البشر تصورهم أنهم أنصاف آلهة، ثم صار الإنسان المميز – كشخصيات الملوك والأمراء – هو البطل، وتطور هذا الفن ليصبح أكثر الفنون تعبيرًا عن الإنسان.

تأثرت المسرحية بالتطور الذي لحق بفنون الأدب الأخرى، فظهرت تيارات مختلفة في المسرح الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين، بعد أن بدأ الفكر الإنساني يستقل في مواقفه ويتحرر من سيطرة التراث القديم.

وأول من أدخل الفن المسرحي إلى البلاد العربية هو اللبناني مارون نقّاش(١) الذي اقتبس هذا الفنّ من إيطاليا حين سافر إليها، وبدأ تمثيله باللغة العربية الدارجة، وكانت أولى المسرحيات التي قدمها لجمهوره العربي في بيروت هي رواية «البخيل» المعرّبة عن (موليير)، وذلك في العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي، فنالت إعجاب كل من حضرها، ثم أتبعها بعرض مسرحية أخرى هي «أبو الحسن المغفل».

بعد ذلك ظهر أبو خليل القباني(٢) فخطا بالفن المسرحي خطوة إلى الأمام، وقربه إلى الجماهير باختياره المسرحيات الشعبية مثل «ألف ليلة وليلة»، واتخذ من الفصحى لغة للحوار، ومزج فيها بين الشعر والنثر مع العناية بالسجع أحيانًا، وظل يقدم مسرحياته في دمشق في الأعوام (١٨٧٨- ١٨٨٤م)، ثم هاجر إلى مصر، وتابع تقديم مسرحياته فيها، وقد لقي فنُّه هوًى في نفوس المصريين واعترفوا له بالفضل في تثبيته.

ثم ظهر رائد المسرحية في الأدب العربي توفيق الحكيم الذي بدأ نشاطه المسرحي النثري بمسرحية «الضيف الثقيل» سنة (١٩١٨م) مستخدمًا أسلوب الرمز، حيث رمز بالضيف الثقيل إلى الاحتلال الإنجليزي، ثم ألف مسرحية «المرأة الجديدة»، ثم المسرحية الرمزية الذهنية «أهل الكهف»، والمسرحية الاجتماعية «الأيدي الناعمة»، والتحليلية النفسية «نهر الجنون»، والمسرحية الوطنية «ميلاد بطل».

وقد أصبح فن المسرح من الفنون القيمة التي تقام لها المهرجانات، ويمنح مؤلفوها ومخرجوها وممثلوها الجوائز، لتفوقهم الإبداعي، ولقدرتهم في الفن المسرحي على تقديم صورة صادقة عن المجتمع العربي المعاصر.

### ٢- نوعا المسرحية

شاع نوعان للمسرحية من أيام الإغريق، هما:

أ - **المأساة:** وهي ترجمة للكلمة اليونانية (التراجيديا) التي تنتهي أحداثها بفاجعة، وهي عادة تؤكد قيمة إنسانية كبرى، وكانت بدايات التأليف فيها مقصورة على تصوير حياة

---

(١) مارون بن إلياس النقاش (١٨١٧- ١٨٥٥م)، ولد في صيدا بلبنان، كان أول من مهد الطريق لتشخيص الروايات على المسرح العربي بعد أن ساح في أنحاء أوروبا ورجع مغرمًا بفن التمثيل، فعرّب روايات عدة.

(٢) ولد في دمشق سنة (١٨٣٣م)، وتوفي سنة (١٩٠٣م).

العظماء، ثم أصبحت تتناول عامة الناس، وتتميز بالجدية، وحدّة العواطف، وصعوبة الاختيار في المواقف، وسلامة اللغة في الصياغة.

ب- **الملهاة:** وهي (الكوميديا)، وموضوعاتها تتناول المشكلات اليومية الواقعية، ويغلب عليها الطابع المحلي، ويعد عنصر الفكاهة عنصرًا رئيسًا فيها. ونهايتها غالبًا تكون سعيدة.

ولم يعد هذا التقسيم قائمًا في المسرح المعاصر، إذ قد تختلط فيه المأساة بالملهاة، فالحياة مزيج منهما.

### ٣- عناصر المسرحية

لا بد أن تتوافر في كل عمل مسرحي العناصر الآتية:

أ - **الحدث المسرحي:** تعتمد المسرحية مثل القصة على الحدث الذي يتناول قضية من قضايا الحياة بحيث يظهر هذا الحدث من خلال الحوار بين شخوصها.

ب- **الشخوص**، وهي نوعان:

١. شخوص رئيسة محورية: تدور حولها معظم الأحداث، ومن بينهم تبرز شخصية أو أكثر يطلق عليها اسم البطل، وهي الشخصية المحورية، وتعلق بها الأحداث منذ البداية حتى النهاية، ويجب أن تكون نامية متطورة (١).

٢. شخوص ثانوية: لها أدوار محددة مكملة للدور الرئيس الذي يقوم به الأبطال بحيث تدفع المسرحية إلى النمو باستمرار.

والكاتب في القصة ينبغي أن يرسم لنا صورة للشخصية من جانبيها الظاهري والباطني حتى نتعرف أبعادها، أما في المسرحية فإن الشخصية تظهر أمامنا ونحن نتعرف عليها عن طريق حركتها وكلامها، وتقاس مهارة الكاتب المسرحي بمدى نجاحه في تحريك شخوصه أمامنا، وإنتاج مجالات لها يبرز فيها سلوكها. أما إذا قدم لنا الشخوص في صورة ثابتة غير نامية، فهذا عيب يجعل من الشخصية (شخصية مسطحة) (٢) لا عمق فيها.

---

(١) الشخصية النامية المتطورة هي الشخصية التي يتم تكوينها بتمام القصة أو المسرحية، فتتطور من موقف لموقف، ويظهر لها في كل موقف تصرف جديد يكشف عن جانب منها.

(٢) الشخصية المسطحة هي الشخصية التي لا تتطور ولا تتغير ولا تتبدل مهما كانت المؤثرات والمتغيرات في القصة، ويتذكرها القارئ بسهولة.

جـ- **الفكرة:** وهي المضمون الذي تعالجه المسرحية، وما يهدف الكاتب إلى إبرازه من خلالها، وذلك بعرض صور من الحياة والعادات والتقاليد، ما يساعد على ترسيخ قيمٍ أخلاقية ومُثلٍ فاضلة.

د - **الزمان والمكان:** هما الإطار الذي تجري فيه أحداث المسرحية، وتحديدهما يساعد على فهم الأحداث، وتصور الجو النفسي والاجتماعي المسيطر على سلوك الشخوص.

هـ - **الحوار:** يتشكل منه نسيج المسرحية وتتنامى بفضله الأحداث لتبلغ منتهاها، وعلى الكاتب أن يلائم ببراعة بين أسلوب الحوار والشخوص، بحيث يجعله حيًّا معبرًا عن طبيعة الشخوص، كما أنه يحدد مجالها، ويصور ملامحها النفسية. إن لغة الحوار المسرحي لو فصلت عن التمثيل وقرئت مكتوبة لاحتاجت إلى حرص وعناية لفهم المقصود منها، فالحركة والإشارة وتتابع الحوادث، ومشاهدة الشخوص، وإدراك السياق، كل ذلك يعين على فهم المقصود من الكلام حين تمثل المسرحية على خشبة المسرح.

وحتى يكون الحوار جيدًا فلا بد من أن تكون (الجمل الحوارية) مناسبة لمستوى الشخصية، وقادرة على إيصال الفكرة التي تعبر عنها، وأن يكون الحوار متدفقًا وحارًّا، ومعبّرًا عن الصراع وطبائع الأشخاص والأفكار.

و - **الصراع:** هو العنصر الأساس في المسرحية، يقوم بين طرفين متناقضين، ويشكل عقدة المسرحية. وصورته الشائعة في المسرحيات صراع بين الخير والشر، ويبدأ طبيعيًّا بسيطًا، ثم ينمو ويشتد، حتى يبلغ الذروة، ثم يأتي الحل في نهاية المسرحية.

## ٤- المسرحية في الأردن

عُرف المسرح في الأردن في مطلع القرن العشرين عن طريق بعض المسرحيات التاريخية والدينية والاجتماعية وعدد من المسرحيات المترجمة، فضلًا عن بعض المحاولات في التأليف المحلي التي قام بها بعض الهواة في الأردن، وكانت هذه الأعمال المسرحية تقدم في الأندية والمدارس والكنائس والجمعيات الخيرية، وذلك للتعبير عن المشاعر الوطنية والقومية وإشاعة روح التصدي للغزو الفكري والثقافي الذي تعرض له وطننا العربي، إضافة

إلى توظيفها لأغراض تربوية تعليمية.

ومن أهم الأعمال المسرحية الأردنية المحلية «المضبوعون» لمحمود الزيودي، و«المأزق» لبشير هواري، و«دولة العصافير» لفخري قعوار، و«تغريبة ظريف الطول» لجبريل الشيخ، و«ألف حكاية وحكاية من سوق عكاظ» لوليد سيف، و«كوكب الوهم» لعاطف الفراية.

## الأسئلة

١- وضح المقصود بكل مما يأتي:

الملهاة، المأساة، الشخصية المحورية.

٢- علل ما يأتي:

أ - يعدّ الصراع العنصر الأهم في المسرحية.

ب- تقاس مهارة الكاتب المسرحي بمدى نجاحه في تحريك الشخوص.

جـ- الكاتب المسرحي يلائم بين الحوار وطبيعة الشخوص.

٣- بين دور كل من: مارون نقاش والقباني في نشأة المسرح العربي.

٤- الحوار هو المظهر الحسي للمسرحية:

أ - وضح المقصود بالحوار المسرحي.

ب- ما شروط جودة الحوار؟

جـ- اذكر ثلاثة من الأمور التي تساعد على فهم الحوار المسرحي.

٥- وازن بين الرواية والمسرحية من حيث: الحوار، والشخوص.

٦- من رائد المسرحية في الأدب العربي؟ وما الآفاق المتعددة لمسرحياته؟

٧- ما علاقة الأدب المسرحي بالتمثيل؟

٨- في رأيك، لماذا لجأ توفيق الحكيم إلى استخدام الرمز في مسرحياته؟

## قائمة المراجع


١ – إبراهيم السعافين وآخرون، **الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٤.

٢ – إبراهيم الفيومي، **دراسات في الرواية والقصة القصيرة**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧.

٣ – إبراهيم خليل، **مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث**، ط (٥)، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٤.

٤ – إحسان عباس، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، عالم المعرفة، العدد (٢)، الكويت، ١٩٧٨.

٥ – أحمد بدوي، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، ط (٣)، دار النهضة، مصر، ١٩٩٢.

٦ – أحمد هيكل، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة**، ط (١٠)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

٧ – أحمد هيكل، **الأدب القصصي والمسرحي في مصر**، ط(٣)، دار المعارف، ١٩٧٩.

٨ – امتنان الصمادي، **شعر فؤاد الخطيب في الثورة العربية الكبرى**، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٠.

٩ – أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصّل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧.

١٠ – جعفر العقيلي ومحمود الريماوي ويوسف ضمرة، **القصة في الأردن من الريادة إلى التجديد**، ط (١)، رابطة الكتاب الأردنيين، والصالون الثقافي الأندلسي، ودار فضاءات للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.

١١ – حسين القباني، **فن كتابة القصة**، مكتبة المحتسب للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٧٩.

١٢ – زكي مبارك، **المدائح النبوية**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٥.

١٣ – سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي، **الثورة العربية الكبرى قصائد وأناشيد**، دار الفكر، عمان، ١٩٨٨.

١٤ – سليمان الأزرعي، **الرواية الجديدة في الأردن**، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧.

١٥ – شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ط (١٠)، دار المعارف.

١٦ – شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات ( الأندلس)**، دار المعارف، القاهرة.

١٧ – صابر عبدالدايم وحسين علي محمد، **فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية**، دار الكتاب الحديث، ٢٠١١.

١٨ – عبد الرحمن ياغي، **في الجهود المسرحية العربية من مارون النقاش إلى توفيق الحكيم**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٤.

١٩ – عمر الدَّقّاق، **الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث**، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٨٥.

٢٠ – فادية حلواني، **تجليات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد (٨)، ٢٠٠٥.

٢١ – محمد العطيات، **القصة الطويلة في الأدب الأردني**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١١.

٢٢ – محمد عبد الغني حسن، **التراجم والسير**، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

٢٣ – محمد يوسف نجم، **فن المقالة**، ط (٢)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ٢٠١١ .

٢٤ – يوسف حسن نوفل، **بناء المسرحية العربية**، ط (١)، دار المعارف، ١٩٩٥.

تم بحمد اللّٰه تعالى